EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

سلسلة إصدارات
المجلس الأوروبي للأئمة
(2)

زادُ الإمامِ الأوروبيِّ في رمضان

المجلس الأوروبي للأئمة

رمضان ١٤٤٢هـ - أبريل ٢٠٢١ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

[البقرة : ١٨٥]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(أتاكُم رَمضانُ شَهرٌ مبارَك، فرَضَ اللهُ عزَّ وجَلَّ عليكُم صيامَه، تُفَتَّحُ فيهِ أبوابُ السَّماءِ، وتغَلَّقُ فيهِ أبوابُ الجحيمِ، وتُغَلُّ فيهِ مَردَةُ الشَّياطينِ، للهِ فيهِ ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شَهرٍ، مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ.) [رواه النسائي]

المحتوى

01 بين يدي رمضان 04

02 لماذا نصوم؟ 10

03 رمضان جديد، فرص جديدة 42

04 رمضان والمسلمون الجدد ... نماذج مشرقة 56

05 رمضان .. موسم إصلاح وترشيد 66

06 رمضان .. في زمن التشبيك، والأجهزة المحمولة 72

07 تطوير البرامج والنشاطات المسجدية في رمضان 80

08 رمضان في زمن الجائحة 88

09 عن رمضان.. ثلاثة أسئلة 94

10 فتاوى رمضانية 112

11 رسائل للمسلم الأوروبي .. في يوم عيد الفطر السعيد 148

بسم الله الرحمن الرحيم

01

بين يدي رمضان

إدارة المجلس الأوروبي للأئمة

يعتبر شهر رمضان موسماً سنوياً استثنائياً في حياة المسلمين في جميع أنحاء العالم أفراداً ومجتمعاتٍ، بما في ذلك مجتمعات الأقليات المسلمة في الغرب، فهو شهرٌ تتغير فيه كثيرٌ من البرامج والسلوكيات والعادات.

يوم المسلم في رمضان يختلف اختلافاً جذريًّا عن غيره: عبادته، نومه، أكله واهتماماته.. ويمثل محطة هائلة في التزويد الروحي.

يترقب المسلمون هذا الشهر باهتمامٍ كبير، وتشتاق إليه أفئِدتُهم، وتتطلع إليه نفوسهم؛ رغبةً في اغتنام نَفَحاتِه وبركاته، والاستفادة من تجلياتِه.. وينعكس ذلك على حياتهم في صورٍ مختلفة، كالإقبال على المساجد بصورة لافتة لا مثيل لها طوال العام، بما في ذلك انتظار صلاة التراويح، التي عادة ما تكون في وقت متأخر في معظم الأقطار الأوربية بحكم طول النهار في السنوات الأخيرة، حيث يصادف رمضان فصل الصيف أو قريباً منه، وكذلك صلوات التهجد وانتظار السحور.

ورغم شدة الحرِّ، وطول النهار، وقِصر الليل، والذي بدوره يترك أثراً كبيراً على فترة النوم، مع مشقة الأعمال والوظائف، إلا أن الغالبية من المسلمين لا تجد في ذلك ما يدعوها إلى

الضِّيق من رمضان والتزاماته؛ بل على العكس تماماً، يظهر الفرح والسرور عند قدومه، والحزن والأسى عند رحيله، إلى درجةِ أنك تجد الكثيرين من الذين لا يواظبون على الصلوات بانتظامٍ خلال العام يُقبِلون عليها في رمضان، ويُقبِلون على الصيام الذي يُعدّ أشدّ مشقةً من الصلاة، ومنهم من يتوقف عن كثير من العادات السيئة والمحرمات أثناء رمضان مراعاة لحُرْمةِ الشهر وقدسيته، ما يعكس عمق التعلق بهذا الشهر، وتعظيمه، والاشتياق لنفحاته، والرغبة في أن يحقِّق المسلمُ فيه درجةً أعلى في القرب من الله تعالى.

وتفاعلاً مع هذا الشهر الاستثنائي في حياة المسلم، نتوجه في (المجلس الأوروبي للأئمة) إلى عموم المسلمين في أوروبا، وإلى غيرهم ممن يرغبون في التعرف على رمضان والصيام عند المسلمين، بهذا الكتاب الذي جمع جملةً من المواضيع المهمة المتعلقة برمضان، ولم نقصد فيه ترتيبه وفق منهجية محددة، وإنما قصدنا جَمْعَ مقالاتٍ ومواضيعَ -من خلال استكتاب أصحابها -رأينا أنها مفيدةً للقارئ والباحث، وقد يحدث أحياناً أن تتكرر بعض المضامين في مواضع مختلفة من الكتاب، لكن للحاجة إلى تأكيدها من جهة، ولاختلاف طريقة التناول

بين الباحثين، رأينا بقاءها كما هي دون تدخلٍ فيها.
وقد تناولتْ مواضيعُ الكتاب في مضمونها ثلاثة محاور رئيسيّةٍ:

- أسرار الصيام ومعانيه ومقاصده المختلفة، والتي أخذت الحيّزَ الأكبر من الكتاب، وذلك من أجل تحقيق أكبر قدر من الاستفادة من هذا الموسم الاستثنائي، وتوظيف ذلك القدر الكبير من التفاعل معه في تعميق مقاصده الروحية والإنسانية والاجتماعية وغيرها؛ لينعكس ذلك على حياة المسلم طوالَ العامِ، متجاوزاً بعض المظاهر الشكلية والطقوس الظاهرية الآنيَّة.

- كما تضمّن الكتاب مجموعةً من الموجِّهاتِ والأفكارِ والمقترحاتِ والتوصياتِ التي يمكن تطبيقها في رمضان، سواءً على مستوى الأفراد أو الأُسَر أو المراكز والمؤسسات الإسلامية.

- وقد خُتِم الكتابُ بجملةٍ من الفتاوى الفقهية المهمة الخاصة بفقه الصيام وما يتعلق به.

هذا.. ولم تغفل مواضيع الكتاب ظرف جائحة (كورونا) وتداعياتها، والتي دخلت في عامها الثاني، وبعض الموجِّهات والمضامين الخاصة بها.

وإننا لنرجو من الله العلي الكبير أن يَلقَى هذا الكتاب استحسانَ القارئين من الأئمة والمرشدين والمرشدات، ومن عموم المسلمين والباحثين.. وأن يجدوا فيه بُغيَتَهم.

كما نتوجّه بجزيل الشكر لأصحاب الفضيلة المشايخ والعلماء الذين ساهموا فيه بمقالاتهم العلمية الرصينة، أو بمقترحاتهم وأفكارهم، وللفريق الإعلامي الفنّي الذي كان له دور كبير في إخراج هذا الكتاب في صورته النهائية..

مع شكرٍ خاص لكل من شجّع ودعم بفكرةٍ أو مقترحٍ أو نصيحةٍ.

،،، والله من وراء القصد ،،،

إدارة المجلس الأوربي للأئمة

[رمضان ١٤٤٢هـ - أبريل ٢٠٢١ م]

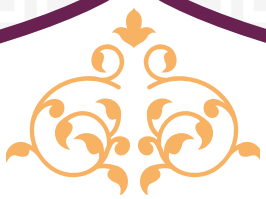

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ـ رضى الله عنـه ـ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم قَـالَ:

الصِّيَـامُ جُنَّـةٌ، فَـلاَ يَرْفُـثْ وَلاَ يَجْهَـلْ، وَإِنِ امْـرُؤٌ قَاتَلَـهُ أَوْ شَـاتَمَهُ فَلْيَقُـلْ إِنِّي صَائِـمٌ. مَرَّتَـيْنِ، وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ لَخُلُوفُ فَـمِ الصَّائِمِ أَطْيَـبُ عِنْـدَ اللهِ تَعَـالَى مِـنْ رِيـحِ الْمِسْـكِ، يَـتْرُكُ طَعَامَـهُ وَشَرَابَـهُ وَشَـهْوَتَهُ مِـنْ أَجْلِي، الصِّيَـامُ لِي، وَأَنَـا أَجْـزِي بِـهِ، وَالْحَسَـنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَـا.

[رواه البخاري]

02

لماذا نصوم؟

د. خالد حنفي

عضو هيئة أمناء المجلس الأوروبي للأئمة

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام حضارة المسلمين، وبعد.

فقد أوجد التشابك والتطور السريع الذي أحاط بالناس في عالمنا المعاصر جملةً من الأسئلة ما كانت لتطرح في الأزمنة السابقة، وإن طرحت فلم تكن هناك حاجة لتعميق النظر في الجواب عنها، أما اليوم، فاختلف الحال، خاصةً في السياق الغربي، ومن هذه الأسئلة: السؤال الذي يُطرح مع قدوم شهر الصيام من كل عامٍ، وهو: لماذا نصوم، وهل للصوم حكمة معقولة المعنى، أم هو ضربٌ من التعذيب لا يناسب الإلهَ الرحيمَ بعباده؟

ولا أقصد من هذا المقال استقراءَ تلك الحِكَم والتعليلات للصيام، وإنما بيانَ صحةِ هذا التعليل وإمكانيته، وأن الشارع الحكيم لم ينُصَّ عليها تفصيلاً، لتبقى متجددةً متمددةً بتجدد العصور والأزمنة، ونظر المفكرين والعلماء، وتقريرُ المبدأ - وهو تعليل العبادة ومعرفة مقصدها - أهم عندي من الاستقراء والإكمال، كما قال القرافي في «الفروق» (١/ ١٢١): «وما لا أعرفه، وعجزتْ قدرتي عنه، فحظِّي منه معرفةُ

إشكالِه، فإنّ معرفةَ الإشكال عِلمٌ في نفسه، وفتحٌ من الله تعالى) ا. هـ.

وأودّ هنا التأكيدَ على أمرين مهمين:

الأول: أن الامتثالّ للتكليف بالصيام لا يجوز شرعاً أو عقلاً أن يتأخر حتى تُكشفَ العلةُ ويتضحَ المقصدُ، أو أن يُعلَّقَ الامتثالُ والتعبدُ على معرفتِه وظهورِه، وإنما يجب الامتثال والطاعة، ثم يأتي التعليلُ والتقصيدُ ليطمئنَّ المسلمُ ويزداد امتثالاً وانقياداً وتسليماً، ويتفتحَ عقلُ غيرِ المسلمِ لقَبول التشريع واليقين بعدم تصادمه مع العقل أو الواقع. وتعليقُ الامتثال على الاقتناع بصحة التشريع يتناقض مع معنى العبودية ومفهومها، بل حقيقةُ الإسلامِ هي: الاستسلام لرب العالمين.

الثاني: أننا اليوم بحاجةٍ ماسةٍ إلى إعادة تقديم الإسلام وأحكامه التشريعية وَفْقَ منهجٍ فلسفيٍّ مقاصديٍّ تعليليٍّ، وأنّ افتراضَ سؤالٍ حول أي قضيةٍ في الإسلام بأداة الاستفهام: لماذا؟ وإيجادَ جوابٍ له هو عينُ روحِ التشريع، ومقتضى آيات التنزيل والسنة النبوية.

وقد كان السببُ الذي دفع وليَّ الله الدِّهلَوي لتصنيف كتابه الشهير الذي اعتنى ببيان حِكم التكليفات الشرعية وأسرارها تحت عنوان:)حجة الله البالغة(أنه: لاحَظَ أن العالم الإسلاميّ مقبلٌ على تطورٍ جديدٍ، وأنه سوف يستقبل عصراً يقوم بِناؤه على العقلِ وما يكتسبه من علمٍ، وأنه سوف يواجه ثورةً فكريةً عارمةً، ولا بد من إيضاح الفكرة الإسلامية وجلائها، وبيانِ أسرار الدين وحِكَمِه، وأصولِ التشريع الإسلاميِّ وأسسِه في تنظيم الحياة والمجتمع. رغم أن الدِّهلَوي رحمه الله تعالى توفي سنة ١١٧٦هـ = ١٧٦٢م، فماذا يمكن أن يُقال عن زماننا وعصرنا الذي كثُرت فيه الشبهات والتشكيكات في الثوابت والقطعيات؟ لا شك أن التوجه إلى التقصيد والتعليل وبيان العلة والحكمة من التكليفات الشرعية هو واجبُ الوقتِ.

هل يصِحُّ شرعاً أن نسأل عن حِكمة الصوم وفلسفته؟

لماذا نصوم؟ سؤال يتكرر كثيراً خلال شهر رمضان على الساحة الأوربية، من الأجيال الجديدة لأولاد المسلمين في الغرب، الذين نشأوا في بيئة الأسئلة المفتوحة، والتي تُمَنْطِقُ كلَّ شيءٍ، ولا تُسلِّم أو تستسلم قبل معرفة الحكمة أو السر وراء الأمر أو النهي، كما يُطرح السؤال من غير المسلمين عندما يأتي شهر رمضان في عمق الصيف، حيث تطول ساعات الصيام صيفاً، فتتراوح بين ١٧ و٢١ ساعة، فيسألون: كيف تتحملون هذه الساعات دون طعام أو شراب، وتواصلون حياتكم الطبيعية؟! ولئن قَبِلنا الامتناعَ عن الطعام، فكيف تمتنعون عن شرب الماء، وكيف يأمر الإلهُ الرحيمُ بما يشبه التعذيب، ويُضِرّ ببدن الإنسان؟

إن السؤال (لماذا نصوم؟) سؤال مشروعٌ، والقرآن الكريم حافل بالتعليل والتقصيد، وبيان الحكمة من فرائض الأحكام، فقد بيّن أن القصد الأكبر من الصيام: تحقيقُ التقوى، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ١٨٣]، وأنّ الذِّكرَ والاتصالَ بالله من أعظم مقاصد الصلاة، فقال:

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ» [العنكبوت: ٤٥]، وأنّ تطهيرَ النفسِ من الشُّحِّ مقصدُ الزّكاةِ بقوله: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» [التوبة: ١٠٣]، وأنّ ذكرَ الله وشُهودَ المنافع أهمُّ مقاصدِ الحجِّ، فقال: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» [الحج: ٢٨].

وليس في الإسلام شيءٌ غيرُ معقولِ المعنى، فالمعنى والحكمةُ موجودةٌ، لكنها قد تظهر لعالمٍ وتخفى على غيره، وخفاؤها لا يعني عدم وجودِها، وقد أدركتُ أن القصد من عدم التنصيص على الحكمة، والقصد من التشريعات بصورةٍ قاطعةٍ حاسمةٍ هو أن يستمرّ البحثُ وإعمالُ الفكرِ والنظرِ مع تتابع العصور والأزمنة، لتبقى الحِكَمُ والمقاصدُ حيّةً منفتحةً متجددةً بتجدد الأزمنة، ومتعددةً بتعدد الأنظار. أدركتُ هذا المعني عندما كنت أجعل الخطبة الأولى من شهر رمضان كلَّ عامٍ للحديث حول فلسفة الصوم ومقاصده، فكان يظهر لي في كل عامٍ سرٌّ جديدٌ للصيام أصِلُ إليه بنفسي، أو أُطالعه لأحد العلماء والمفكرين السابقين أو اللاحقين، حتى اجتمع لي ١٦ حكمةً ومقصداً للصيام.

وقد طغى على فقهِنا الموروثِ التركيزُ على صورة عبادة الصيام وتصحيحها شكلاً، على حساب بيان سرِّها ومعناها، حتى وصلتِ المفطراتُ عند بعض الفقهاء إلى ٥٧ مفطراً، وقد وصف الدكتور محمد عمارة رحمه الله هذا الواقع الفقهيّ بقوله: «نحن أمام متصوفةٍ بلا عقولٍ، وأمامَ فقهاءَ بلا قلوبٍ»، يُنكِر خُلُوَّ الفقهِ من المعاني والمقاصد وجفافَه بالتركيز على الصور والأحكام. وقد أحسنتِ المجامعُ الفقهيّةُ المعاصرةُ إذ نَحَتْ عكس هذا المنحى فضيقت من دائرة المفطرات العصرية.

ولعل السابقين من فقهائنا ضيّقوا في بيانِ أسرار العبادات خوفاً عليها من الإضافة أو التغيير، ورغبةً في صيانتها من التحريف والتبديل، فإذا قلنا: إن الصيامَ يهدف لرعاية الجسم صحيًّا، لا يأتي من يقول: سأحقق ذلك بالرياضة وتنظيم الغذاء، ولا حاجة لي بالصيام! وهكذا. لكن في زماننا وعالمنا المفتوح صار التعليلُ وبيانُ الحكمة هو الحامي للامتثال والأدعى للانقياد، والأكمل في عرض الإسلام للعالمين، وهو المعنى الذي عناه ابن القيم حين قال عن تقصيد الأحكام: «هو الفقه الحيّ الذي يدخل القلوبَ بلا استئذانٍ».

لقد أصبح الجوابُ عن السؤال (لماذا؟) بالتعبدية وعدم المعقولية اليوم يُعقِّد الأمرَ ولا يَحلُّه، ولا يصون التدين والأحكام كما كان في زمن السابقين، بل يفتح الباب للتشكيك والتردد في قبول الأحكام.

وعلينا أن ننبه إلى أنه لا يصح عقلاً ولا يجوز شرعاً أن نؤخِّر الامتثال حتى تظهر لنا الحكمة، ولكن علينا أن نمتثل لأمر الله فنصوم، ونتابع البحث والجواب على السؤال: (لماذا نصوم). فيكون الجواب ممهِّداً ومُهيِّئاً لغير المسلم بقبول أحكام الإسلام ومنطقيَّتِها، ويزيد المسلمَ انقياداً وامتثالاً وإذعاناً لأمر الله.

إن المسلمين لم يكونوا بحاجة في عصرٍ من العصور إلى فلسفة الأحكام وتعليلها وتقصيدها مثلما هم بحاجة إليها اليوم، حيث التشكيكُ في المسلَّمات، ورواجُ الأفكارِ التي لا يُتخيَّلُ أن يكون لها أنصارٌ، فما كان صالحاً مقبولاً في أزمنةٍ مضت لم يعد صالحاً اليوم.

لقد كان المسلمون الجدد، الذين لهم اشتغال بالفلسفة أو التأمل، أكثر وعياً من المسلمين (بالوراثة) في حديثهم، وتأملاتهم حول الإسلامِ وعبادةِ الصيام تحديداً، كما نتج

عن غياب حِكَمِ الصيام ومَقاصده عدمُ وجود أثر العبادة في واقع المسلمين، كما وصف ذلك الدكتور مراد هوفمان، السفير والمفكر الألماني بقوله: «إنّ صوم رمضان أصبح يمارَسُ في أقسامٍ من عالم المسلمين على نحوٍ يُجرِّدُه من مغزاه الديني، ويجعله جزءا متحرراً من المدنيّة، وهذا يفسر أيضا السلوك الغريب من جانب بعض المسلمين، إذ يمتنعون عن تناول الخمور في رمضان، باعتباره شهرَ إسلامٍ، مقابل أحد عشر شهراً للراحة من الإسلام !!».

إن الجواب على السؤال (لماذا نصوم؟) مهم لِما يلي:

١. للمسلم الصائم الطائع، ليزداد إيماناً، «قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» [البقرة: ٢٦٠].
٢. للمسلم المتشكِّكِ رغم صيامه، أو الممتنع عن الصيام لعدم منطقيّته، هاتفني شاب ازداد في ألمانيا يستشيرني في أمر صديقه المسلم الذي قرر الامتناع عن الصيام هذا العام قائلاً: صُمتُ أكثرَ من ٢٠ رمضاناً وأنا غير مقتنع بمعقوليّة هذه العبادة أو فائدتها، وإنما صُمْتُ إرضاءً لوالديَّ، وتحت ضغط المحيط الاجتماعي للأسرة.

٣. لغير المسلم، سواءً الملحد، أو المؤمن بدين آخر ويريد أن يفهم فلسفةَ الصيام وأبعادَه غير التعبدية.

٤. للفقيه والمجتهد، ليستبطِنَ تلك المقاصد والحِكَم في اختياره واجتهاده وترجيحه الفقهي وتنزيله على الواقع المعيش.

٥. ولا يعني ذلك أن الأجوبة التي سأُقدِّمُها على السؤال لماذا نصوم هي أجوبةٌ نهائيةٌ وقاطعةٌ وحاسمةٌ، ولكنها اجتهاد: منه ما هو تأمُّلِيٌّ، ومنه - وهو الأغلب - ورَدَ في ثنايا حديث الفقهاء المتقدمين والمتأخرين، وليس القصد إحصاء الحِكَم والمقاصد وحصرها، وإنما: فتح الباب للإضافة والضبط والإكمال، كما قال ابن خلدون: «فليس على مستنبطِ الفنِّ إحصاءُ مسائلِه، وإنما عليه تعيينُ موضوعِ العلمِ، وتنويعُ فصولِه، وما يُتكلَّمُ فيه، والمتأخِّرون يُلحِقون المسائلَ مِن بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يَكمُل».

من حِكَم الصيام ومقاصده، جواباً على السؤال: (لماذا نصوم؟)

❁ أولاً: المقصد الإنساني

يجوع الصائم لبعض الأوقات ليشعرَ بمن يجوع كلَّ الأوقات، وإذا كان الصائم يعاني ويجاهد نهاراً بِتَرْكِ الأكل والشرب، فإنه ساعةَ الإفطار يجد صُنوفَ الطعام والحلوى والمشروبات، لكنّ غيرَه من الفقراء والمعْوِزين لا يجدون طعاماً، إنْ في نهاية اليوم أو في اليوم التالي، فعندما يجوع الصائمُ يتذكّر غيرَه من الجائعين، فيسعى للتخفيف عنهم ومساعدتهم وإطعامهم، لأن المسلم لا يحيى لنفسه فقط.

وهذا المعنى أطلق عليه الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «الاشتراكية الإنسانية الأخلاقية»، فمشاركة الآخرين الهمومَ والعملُ على التخفيف عنهم، وغرسُ قيمة المساواة ومعناها قائم في كل العبادات، ففي الصلاة «اشتراكية» الرؤوس، لا يعلو رأسٌ كبيرٌ على رأسٍ مغمورٍ، وفي الصوم «اشتراكية» البطون، لا يمتاز فيها بطنٌ على بطنٍ، وفي الزكاة «اشتراكية» في الأموال، لا تمتلئ في جيب وتفقر منها في جيب، وفي الحج

«اشتراكية» في الأجساد، لا يتميّز جسدٌ عن جسدٍ بلباسٍ ولا غطاءٍ.

لكنّ ممارسات المسلمين اليوم في شهر رمضان، لا تعكس وقوفَهم على هذا المعنى؛ فقد أصبح شهر رمضان أكثر الشهور التي يُنفَق فيها على الطعام والشراب، وقد صارت بطون الصائمين تتألم من كثرة الطعام بعد الإفطار، أكثر من تألُّمِها من الجوع بالصيام!!

وهو ما لاحظه الدكتور مراد هوفمان حين قال: «يرتفع كثيرا استهلاك الأغذية في رمضان بدلا من أن ينخفض، أما ما ينخفض بالتأكيد فهو إنتاجية العمل، ويؤثِّر رمضان على الإنتاج القومي في هذه البلدان، كما لو كان مدة إجازة ثانية».

لقد أدرك نائبٌ في البرلمان الكندي هو «مارك هولاند» هذا المعنى من الصيام بعد أن صام مع المسلمين لعامين متتاليين وهو غير مسلم، وهو صائم أيضا هذا العام، وقد عرض تجربته أمام البرلمان الكندي قائلا: «أخوض تجربة الصيام لأمرين اثنين، الأول: هو الشعور بمعاناة الجوعى، والثاني توفيرُ مال الوجبات التي لا آكلها أثناء الصيام، والتبرع بها لإحدى المؤسسات الخيرية، التي تُعنَى بالجوعى والمحتاجين

في كندا والعالم». وأضاف: «إن المحتاجين كُثُرٌ في عالمنا اليوم، وهم ليسوا بحاجة للطعام ليومٍ واحدٍ، بل دوماً».

إن العالم يموت به يوميًّا ٢١ ألف شخص جوعاً (بحسب تقرير منظمة التغذية العالمية «فاو»)، وليس فقط خلال شهر رمضان، وهناك الملايين الذين يعانون التخمة والحيرة في الاختيار بين ألوان وأنواع الأطعمة خاصة في شهر رمضان !!

إن إنسانية الإسلام ظاهرةٌ واضحةٌ في تشريعاته وأحكامه، بل إن القرآن الكريم كتابٌ إنسانيٌّ، لكن المسلمين اليوم لم ينجحوا في تجسيد هذه القيمة، والإسلام في إنسانيّته ورعايته للمحتاجين لا يفرِّق بين الناس على أساس الدين، وقد جوّز عمر بن الخطاب رضي الله عنه إعطاءَ غيرِ المسلم من الزكاة المفروضة، لا فرق في ذلك بين الفقير المسلم وغير المسلم، وهو ما رجّحه عددٌ من الفقهاء المعاصرين، وهو ترجيحٌ مقاصديٌّ إنسانيٌّ يُسنده الدليلُ والبرهانُ.

إنّ توُافدَ آلاف اللاجئين على ألمانيا وأوروبا أظهر البعد الإنساني في الشخصية الأوروبية، بينما تأخر المسلمون نسبيًّا في القيام بواجبهم الإنسانيّ، وسبقت الكنائسُ المساجدَ بفتح أبوابها للاجئين، ولم تقع التفرقة بين الناس في الدعم والإغاثة

على أساس الدين.

تحدّث وزير المالية الألماني فولفغانغ شويبله في احتفالات بلاده بذكرى تأسيس الكنيسة البروتستانتية الألمانية في ثاني أيام رمضان ١٤٣٨ الموافق ٢٨/ ٥/ ٢٠١٧م قائلا: «إن الدين الإسلاميّ يتضمن الكثير من القيم الإنسانية القوية التي يمكن للمسيحيّين والملحدين في ألمانيا التعلم منها، مثل إكرام الضيف، والتسامح».

فهل يفعلها المسلمون في ألمانيا وأوروبا خلال شهر رمضان، فيقومون بتجسيد هذه القيم الإنسانية؟!، ماذا لو رفع المسلمون في ألمانيا وأوروبا شعار: (في رمضان .. أَشْعُرُ بالجائعين) وقاموا بجمع الأموال الفائضة من الاقتصاد النسبي في الإنفاق على الطعام خلال شهر رمضان، وإيصالها من خلال المؤسسات الخيرية للجائعين والفقراء، وحفر آبار المياه لهم حول العالم، والإعلان في نهاية الشهر عن النتائج لتشجيع غيرهم، ويستمر هذا المشروع كلّ رمضان، ويصبح من تقاليد شهر رمضان المعروفة في المجتمع، تُرى كيف سينظر المجتمع إلى أثر تلك العبادة التي رأوها غير منطقية في بادئ الأمر، وكم عدد المتفاعلين معها من غير المسلمين،

وكم عدد الذين سيخوضون تجربة الصيام فضولاً للشعور بالناس ؟!! وكيف سيرى المجتمع دور المسلمين الإيجابي الإنساني في العالم، وكيف ستقدم التجربة في الإعلام؟

إن المبالغ التي يمكن جمعُها للجائعين من ملايين الصائمين ستكون هائلة، وستخرج بنفس سَمْحَةٍ مستظلةٍ بروح الصيام والقيام.

❁ ثانياً: الحرية والتحرير

الصيام يحرر الإنسان من شهوات نفسه ورغباتها، ويمكّنه من قيادة نفسه وضبط زمامها، وسيادتها وقيادتها، فمن تحكم في نفسه وكبح جِماحَها بالصوم، قادرٌ على أن يمنعها عن الشر، وأن يوجهها للخير، وتلك هي الحرية الحَقَّة، فليست الحرية أن ينطلق الإنسان وراء شهواته وملذاته يأكل ما يشاء، ويشرب ما يشاء، ويخالِلُ من يشاء، وقتما شاء، كلا، فتلك عبودية ترتدي ثوب الحرية، فقد أصبح الإنسان بهذا عبداً لتلك الشهوة، وهذه العادة، من قهوة، أو سيجارة، أو ماركة، أو منصب، أو مال، أو كذا، أو كذا.

ويرى الدكتور مصطفى السباعي: «أن تمام الحرية قد يكون

بالمنع أحياناً، فالمريض حين يمنع من الطعام الذي يضره إنما تُحَدُّ حريته في الطعام مؤقتاً، لتسلم له بعد ذلك حريته في تناول ما يشاء من الأغذية».

ويقول الدكتور مراد هوفمان: «وبالنسبة لي، لعل أهم أثر جانبيٍّ لصوم رمضان: أن اختبر ما إذا كنت ما أزال سيد نفسي أم أنني صرت عبداً لعادات تافهة، وما إذا كنتُ ما أزال قادراً على التحكم في نفسي أم لا؟. وأتمنى أن يكون فرحاً وليس غروراً ذلك الذي أشعر به بعد انتهاء آخر أيام رمضان، أي عند صلاة المغرب، من أنني استطعت بعون الله أن أصومه».

عندما أَرقُبُ إدمانَ الصائمين للهواتف وانشغالهم بها عن اغتنام الشهر الكريم، أقول: هل حرّر الصيامُ حقًّا هؤلاء من عاداتهم ورغباتهم، فقدموا ترفيهاً يمكن استرجاعه، على عبادة وفضل إذا فات لا يعود ؟!!

إن الصائم إذا نجح بالصيام في تحرير نفسه من أهوائها، صار قادراً على تحرير وطنه وأمته من الظلم والاستبداد، وعيشها بحرية وكرامة، فهل تدرك أمتنا الصائمة هذا المعنى، فتنطلق لتحرير أوطانها بأخلاق الصائمين ومُسالمتهم وحِكمتهم؟.

ثالثاً: تحقيق الوحدة والترابط الاجتماعي

يبدأ المسلمون صومهم في يومٍ واحدٍ، ويُعيّدون في يومٍ واحدٍ، كما يُمسكون عن الطعام والشراب في لحظة واحدة، ويعودون إليه في لحظة واحدة في المدينة الواحدة، وتنظم المساجد والمؤسسات الإسلامية في أوروبا وفي العالم العربي والإسلامي موائد الإفطار الجماعي التي تعكس روح الترابط الاجتماعي والثقافي بين المسلمين خلال شهر رمضان، وتجتمع الأسرة الصغيرة والعائلة الكبيرة خلال شهر رمضان كما لا تجتمع في غيره من الشهور والأوقات، وتلتقي العائلات والأصدقاء في الإفطار في جوٍّ إيمانيٍّ واجتماعيٍّ فريدٍ.

كل هذا ناطق بواحد من مقاصد الصيام المهمة، وهو أن الصيام يجمع المسلمين في رمزية للأخوة والتواصل والاجتماع، وإن تباعدت البلدان، واختلفت الألسن والألوان، لهذا فليس هناك مبررٌ فقهيٌّ لاستمرار الاختلاف حول إعلان بداية رمضان ونهايته كل عامٍ، حتى يصل إلى ثلاثة أيام في بعض الأحيان!!، وقد كان الدافع وراء القول باختلاف المطالع بمعنى: أن ترى كل بلد الهلال، فإن رأوه صاموا، وإن لم يروه أكملوا العدة دون نظر إلى رؤية غيرهم في البلدان الأخرى،

كان الدافع وراء هذا القول طبيعة زمن الفقهاء قديماً، حيث لم يتصوروا إمكانية وصول خبر الرؤية إلى البلد الآخر، لهذا كان هذا الرأي متوافقاً مع واقعهم وبيئتهم، أما في زماننا فيُنقل الخبر صوتاً وصورةً في نفس اللحظة، لهذا ليس هناك مُسوِّغٌ أو مبررٌ للقول باختلاف المطالع اليوم، لأنه يؤدي إلى اختلاف المسلمين داخل البلد الواحد، فقد يُرى الهلال في شماله ولا يرى في جنوبه!

وقد انتهى أضخم مؤتمر فقهيٍّ فلكيٍّ عُقِدَ في إستانبول مايو ٢٠١٦م إلى ترجيح التقويم الأحادي، وأصدر تقويماً هجريًّا موحداً يقوم على أُسسٍ شرعيةٍ وفلكيةٍ قويةٍ، وأُقِرَّ بأغلبية ثلثي الحضور الذين مثّلوا ٧٦ دولة، وهو يؤسِّس لوحدة عالمية للمسلمين في الصوم والفطر، ويحقق بامتياز مقصد الترابط والاتحاد ويقضي على الاختلاف الحاصل في الصوم والفطر، ويربط المسلمين بتقويمهم الهجري حيث يمكنهم تنظيم حياتهم عليه.

يتحدث الدكتور مراد هوفمان مندهشا حول اختلاف المسلمين في تحديد بداية رمضان ويوم العيد فيقول: (من المخزي أن يظل مسلمو الأرض مختلفين في أيام بدء وانتهاء

صومهم تبعا لكونهم أتراكاً، أو مغاربة، أو سعوديين، وهذا أمر من شأنه أن يضر بالصوم بوصفه حدثا جماعياً، وأن يُعرِّض المسلمين لسخرية الآخرين).

ويرجع الاختلاف لسببين:

أولهما: أن الأمة مجزّأة إلى دول قومية، ولا يكفي التركي أو المغربي أن يعرف أن رؤية الهلال ثبتت في مكة، إذ لا بد بالنسبة لكل منهما أن تثبت رؤيته في قونية، أو فاس.

والسبب الثاني: أنه جرت العادة في عصور الإسلام الأولى أن تثبت رؤية الهلال بالعين المجردة وليس بالحسابات الفلكية أو بالتنبؤات، ويتمسك المتشددون بتلك الإجراءات لتحديد الشهر القمري، رغم أن تحديد الهلال أمرٌ هيّنٌ بالحسابات الفلكية الدقيقة اليوم.

أليس من الممكن حقا أن تُوحد مواعيد شهر الصوم في أنحاء العالم الإسلامي كافة بناء على الحسابات الفلكية؟!

وإنما شرعت زكاة الفطر، لتحقيق هذه الوحدة والترابط الاجتماعي في يوم العيد، فلا تقتصر الفرحة بالعيد على الأغنياء والقادرين فقط، وإنما يشترك الجميع الغني بماله، والفقير بما وصله من صدقة العيد.

ولتحقيق معنى الجماعية في الصوم والفطر، اتفق الفقهاء على أنّ من صام في بلد وعيَّد في بلد آخر، وجب عليه الفطر في البلد الذي عيَّد فيه، فإن ترتب على ذلك أن صام ٢٨ يوما، أفطر مع الجماعة وعيَّد معهم، ثم قضى اليوم وحده بعد رمضان، وإن ترتّب على ذلك أن يصوم ٣١ يوما أفطر سرًّا، وذلك ليتناغم مع الجماعة، ولئلا يخدش جماعية الصوم، ودليل ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الصوم يوم يصوم الناس، والفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحى الناس».

ومع الاختلاف الذي يقع في أوروبا في الصوم والفطر، أكّدنا لمسلمي أوروبا أنّ وحدة الأسرة أولاً، فوحدة المسلمين في المسجد الواحد، ففي المدينة الواحدة، فالوحدة الأوروبية، وذلك رعاية وتحقيقاً لمقصد الترابط والوحدة الجماعية للمسلمين.

لقد كان فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار رحمه الله يقول: إن المساجد هي مصانع التوحيد، أي أنها توحد بين الناس وتذيب الفوارق بينهم، وأكثر ما رأيت هذا المعنى جليًّا واضحاً في رمضان أوروبا، حيث تجتمع أكثر من

٥٠ جنسية على مائدة إفطار واحدة، يدور بينهم الحديث والتعارف والتواصل المفقود في العالم المادي الذي يعيشونه، حتى رأيت شخصياتٍ مرموقةً من المسلمين الجدد يفَضِّلون الإفطار في المسجد رغم تواضع الطعام، على الفطر في المطاعم أو بيوتهم طلباً لهذا الدفء الاجتماعي المفقود على مدار العام، وقد لفت المفكر والفيلسوف الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيري النظر إلى خطر الوجبات السريعة «التيك أواي» التي تُفقِد الناس متعة إعداد الطعام والجلوس والحوار معه فقال: «إن هذه الوجبة السريعة الحركية تعني التخلي عن مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية المهمة، مثل أن يجلس المرءُ مع أعضاء أسرته، أو أصدقاءه في شكل حلقة ليتناول الطعام معهم، فيتحدثون في مواضيع شتى، فالإنسان هو من يأنس بغيره.

ولعل العبارة العامية المصرية « أكلوا عيش وملح سَوا» أي سويًّا، تشير إلى مجموعة القيم هذه».

ويبقى أن نقول: إن هذه الإفطارات الجماعية المهمة، لم تنجح بعد في إبراز هذا المقصد الاجتماعي بالصورة المرجوة الكافية، خاصة في الغرب، الذي يعاني فراغاً اجتماعيا يمكن

للحضور الإسلامي في الغرب أن يساهم في ملئه في إطار التواصل الحضاري المأمول.

وإن من أهم تجليات الحرمان والفقدان في شهر رمضان - بعد جائحة كورونا - هو حرمان المسلمين من الاجتماع في تلك الإفطارات الجماعية، فنسأل الله أن يعجّل برفع تلك الجائحة لتمتلئ المساجد مجدداً بالمصلين، ويلتقي المسلمون على الإفطار الجماعي فرحين بفضل الله شاكرين لنعمه.

❁ رابعاً: تنمية ملكة الإبداع والتجديد

يتحدث خبراء التنمية البشرية عن أن من أهم طرائق الإبداع والتجديد (التفكير بالمقلوب)، فإذا كانت الصورة التقليدية: أن يذهب التلميذ للمدرسة، فالتفكير بالمقلوب: أن تأتي المدرسة للتلميذ في البيت، وقد طُبق في صور التعليم عن بُعد، وإذا كانت الصورة التقليدية في حدائق الحيوانات أن توضع الحيوانات في أقفاص ويشاهدها الناس بالتنقل بين هذه الأقفاص، فالتفكير بالمقلوب: أن يوضع الزّوار في الأقفاص والحيوانات تكون طليقة في الحدائق، وقد طُبّق هذا في بعض حدائق الحيوانات في أوروبا، وكان الإقبال على هذه الحدائق

أكبر؛ لأن متعة الناس كانت أكبر، حيث تابعوا الحيوانات على طبيعتها، كما مارست الحيوانات حياتها بصورة شبه طبيعية مما أطال في عمرها نسبيا مقارنة بغيرها.

والصيام تفكيرٌ بالمقلوب، ومخالفة للمألوف، حيث يخالف الصائم عادته في الطعام والشراب وسائر المباحات، فيمتنع عن الطعام في الوقت الذي يأكل فيه الناس عادة، ويأكل في وقت لا يأكل فيه الناس عادة، وهو وقت السحور، ليحفز هذا السلوك الصائم على التفكير الإبداعي، ولو وقفنا على هذا المقصد ففكرنا في حلول إبداعية لأزمات الأمة التي كادت تتأبَّى على الحل في هذا الجو الإيماني الخاص، لكان شهر رمضان بمثابة ورشة عمل فكرية إبداعية متجددة من عام لعام.

❁ خامساً: تنمية ملكة المراقبة لله عز وجل

تحقيق التقوى هو المقصد المنصوص عليه في آيات الصيام، كما في قوله تعالى: «لعلكم تتقون» والتقوى هي: استشعار أن الله يراك في أي زمان، وأي مكان، على أي حال، كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت..»

أي: استشعر أن الله معك حيثما كنت، مع الناس، أو وحدك، في حضور القانون والعقوبة، أو في غيبتهما.

والعلاقة بين الصيام والتقوى، في أنه عبادة سرية، عكس سائر العبادات التي الأصل فيها الإعلان والإظهار، فالسنة في الصلاة أن تؤدى جماعة في المساجد، والزكاة قال الله عز وجل فيها: «إن تبدو الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم» وقال: «فهو ينفق منه سرًّا وجهرًّا»، والحج تلبية علنية، ويسن توديع الحاج وطلب الدعاء منه، أما الصوم فربما امتنع المسلم عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لكن دون نية الصيام، فهو ليس بصائم، وهذا معنى قول الله عز وجل في الحديث القدسي: «كلُّ عملِ ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به» وقوله: «ويَدَعُ شهوته لأجلي».

فالصيام هو العبادة السرية التي تقوم بالدور الأعظم في تنمية ملكة المراقبة لله عز وجل، وقد فرَّق عدد من الفقهاء بين صيام الفريضة والنافلة إذا تعرّض الصائم فيهما لسبابٍ أو شتمٍ، أن يقول في الفريضة جهراً: إني صائم، ويقولها في النافلة سرًّا، والفرق أن الناس في الفريضة صائمون، فلا غرابة في

الجهر والتذكير بأنه صائم. أما الإعلان عن الصيام في النافلة فخادش للسرية المطلوبة في الصيام، كون أغلب الناس غير صائم في النافلة.

والتقوى هي الترجمة المعاصرة لحساسية الضمير ويقظته، الذي يردع الإنسان عن فعل القبيح والمنكر، وإن كان في مأمن من العقوبة القانونية، أو انتقاد الناس وذمّهم، أو نزول قدره عندهم.

والمسلمون اليوم أحوج أمم الأرض إلى يقظة الضمير ومراقبة الله عز وجل في حياتهم وأعمالهم، ولو صام المسلمون صياما محققا لمقاصده فتحققوا بالتقوى واستيقظت ضمائرهم، لما وجدتَ حاكما يقتل شعبه، أو يدمر وطنه ليبقى حاكما، ولما رأيت قاضيا يحكم على الناس ظلما بالسجن أو القتل وهو يعلم براءتهم، ولما رأينا عالماً يبيع دينه بدنيا غيره، ويفتي بسفك الدماء المعصومة، ولما رأيت طبيبا يخون أمانته ويتاجر بالمرضى، وما رأيت الكثير من الصور المفزعة والمهددة لمجتمعاتنا المسلمة الصائمة، التي ما إن يأمن الناس فيها من العقوبات القانونية الدنيوية، فيعيثون في الأرض فساداً، كأن الله لا يراهم، وكأن كل نفس لن تُجزَى بما كسبت!.

وقد وردت آيات الصيام في سورة البقرة التي سماها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: سورة التقوى، أو الأتقياء، لكثرة ورود التقوى فيها، بل هي محور السورة ومرتكزها، وانحراف بني إسرائيل عن التقوى والمراقبة لله واستبدالهم بغيرهم لينظر كيف يعملون مما فصلت فيه تلك السورة.

ويلاحظ أن أغلب الأحكام التشريعية التكليفية في سورة البقرة ختمت بالتقوى، كالرضاع، والطلاق، والربا، والجهاد، والاستدانة، وأن آيات الصيام توسطت تقريبا تلك الأحكام، وهذا يعني أن الصيام هو العبادة الجامعة للتقوى والمراقبة، والخادمة لتلك التكاليف التي حوتها تلك السورة وإيقاعها على النحو المراد للشارع الحكيم.

إن سورة الطلاق - على قِصَرها - ركزت على التقوى كحل للخلافات الزوجية، وسبيل يقي الأُسَر من الطلاق، والهدم للبيوت، فتكرر الأمر بالتقوى وترتيب الجزاء عليه وانفراج الكرب بسببه في السورة خمس مرات، فإذا راقب الزوجان ربهما وتعلما التقوى من الصيام، لصبر كل واحد على الآخر ولأنصفه من نفسه، ولغفر له زلاته في بحر حسناته، وحين تستحيل الحياة ويكون الطلاق حلاً ودواء ناجعا للأسرة،

تكون المفارقة بالمعروف، ولما رأينا تلك الصور المزدولة من الاتهامات الكاذبة، وكفران العشير بين الأزواج، وسعي كل طرف لتشويه الآخر، واستغلال ماله وثروته، دون تقدير لمصلحة الأولاد ومراقبة الله عز وجل فيهم.

التقيت ذات مرة ألمانية مسلمة، ولاحظت نشاطاً وحماساً لها في المركز الإسلامي لا تتقاضى عليه أجراً، فسألتها عن سبب إسلامها؟ فقالت: اتخذتُ صديقاً عربيًّا، وعشت معه حياة الأصدقاء الأوربيين، حتى انقطع عني، فذهبت أسأل عنه، وكان ذلك في رمضان، فوجدته مع أصدقائه يُعدُّون الطعام، وهم جياع ينتظرون في حبٍّ ولهفٍ أذان المغرب لتناول الطعام. فسألتُهم عن هذا السلوك العجيب فحدثوني عن الصيام.

فتوقفتُ طويلا عند سرية هذه العبادة، وما تحمله من تربية عظيمة للصائم، حيث لا يرى عبادته وامتناعه عما يحب سوى الله، وكيف أن صديقي المسلم امتنع عن مواصلة العلاقة المحرمة في رمضان، لأن الصيام لا معنى له حينئذ، فالذي أمر بالصيام حرَّم الزنا وتوعَّد عليه، فكيف أصوم له ممتنعا عن المباحات، ثم أقع في المحرمات.!!

فانطلقتِ الأختُ تدرس الإسلام وتقرأ عنه، حتى أسلمت وتزوجت من العربي المسلم، وكانت سببا في استقامته وهدايته.

وكانت صدقة السر سببا في إسلام فيلسوف أوروبي شهير له عدد من الكتابات، وترجمة مهمة للقرآن الكريم، حيث كان في زيارة لمصر، ولما أُرهق من التجول في شوارعها، جلس يستريح بين النوم واليقظة على هيئة السائل الذي يمد يده. فجاءت امرأة متحجبة مسنة تعطيه صدقة في يده، وظلت تتحسس المارة فكلما اقتربت منه ظهر شخص فأخفت يدها، حتى اطمأنت أنه لا يراها أحد، فأعطته الصدقة وولت مسرعة.

وظل الرجل يبحث عن تفسير لتصرفها، حتى قابل إماماً لمسجد في بلده الأوروبي حيث يعيش، فسأله: فقال له: إنها تريد إخفاء صدقتها؛ لأن صدقة السر أجرها عند الله أكبر من الصدقة العلنية، حيث تقاوم غريزتين في نفسها: حبّ الثناء على هذا الفعل، وشُح النفس، فأعجب الفيلسوف بهذا التفسير، وبدأ رحلة القراءة والبحث عن الإسلام، حتى شرح الله صدره بعد بضع سنين.

إن صور الفساد التي تملأ عالمنا اليوم ستنتهي أو تنحسر يوم أن تستيقظ الضمائر ويتحلى الناس بمراقبة الله عز وجل في السر والعلن، وقد أطال العارفون وأهل التصوف الحديث عن ذنوب الخلوات وأنها أصل الانتكاسات، لأنها تعني عدم تعظيم الله عز وجل في قلب العبد، وتقديم الخوف من الخلق وخشيتهم، على الخوف من الله تبارك وتعالى.

وصاحب الخلوة الخبيثة لا تكتمل عبوديته لله عزّ وجلّ كما قال مطرِّف بن الشِّخِّير: «إذا استوت سريرةُ العبد وعلانيتُه قال الله عز وجل: هذا عبدي حقًّا»

واعتبر العارفون سَيِّئة السر مُضيِّعة لحسنة العلن، فقالوا: «سيئاتُك في الخَلا، تذهب بحسناتك في الملا».

❁ سادساً: تقوية الإرادة وترويض الغرائز

الصائم يمتنع في صومه عن تلبية نداء غريزتين من أقوى الغرائز وأعتاها، وهما البطن والفرج. والإنسان بطبيعته يميل ويحب ما يُمنع منه، فإذا نجح الصائم في السيطرة على هاتين الغريزتين فيما هو مباح في دورة تدريبية لثلاثين يوما، فهو قادر على قيادة نفسه أمام عاداتها وشهواتها الأخرى، ولهذا

فإن شهر رمضان فرصة للتغيير، وإصلاح النفس وتهذيبها، والتخلص من عادة مضرة، أو شهوة، أو معصية عجز المسلم عن الخلاص منها على مدار العام.

فمن صام عن الطعام والشراب في رمضان، يستطيع أن يصوم عن التدخين بعد رمضان، ومن صام يستطيع أن يتخلص من التعلق المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي، وأن يمنحها وقتا محددا من يومه وليلته فيما يفيد، وأن يتجنب مخاطرها وأضرارها التي وصلت حد الإدمان لدى قطاع كبير من الشباب، وصارت من أهم أسباب تصدع الأسر وانهيارها، وشيوع الخيانات الزوجية بمستوياتها المختلفة.

❁ سابعاً: معرفة قيمة الوقت

يترقب الصائم أذان المغرب والفجر، الأول ليفطر، والثاني ليمسك، وينظر في ساعته ويتأكد من ضبطها، ويسأل المفتين، ويتحرى لعبادته إن أخطأ في دقيقة فأكل مبكراً أو متأخراً؛ لأنه يخشى أن يفسد صومه، أو لا تصح عبادته، وذلك بسبب دقيقة.

وهذه الدورة التدريبية المستمرة لثلاثين يوماً تعلم الصائم

أن الدقيقة لها ثمن، وفيها عمل يجب أن يُنجَز، وسيحاسب المرء عليها يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: ..... وعن عمره فيما أفناه».

عندما يزور العرب أوروبا ينبهرون بمواعيد القطارات والحافلات، ويلاحظون أن موعد القطار يكون قبل رأس الساعة بدقيقة أو دقيقتين، (فيكون مثلا: ١٠:٥٩) ويحلل ذلك في إعجاب بأنه التربية المقصودة على احترام الوقت، وكيف أن القطارات في بلادنا تتأخر بالساعة ولا يعتذر للناس أحد، بل من طريف ما حُكِيَ في بلد عربي: أن يخرج القطار قبل موعده !!

إن الصيام يحقق هذا الهدف، ولو وعاه المسلمون لكانوا أكثر الأمم تقديراً للوقت وحفاظاً عليه والتزاما به، ومن أراد الخروج بفائدة عملية للحفاظ على وقته في شهر الصوم، فليضبط ساعة محددة لمواقع التواصل في اليوم، ينجز فيها ما يريد إنجازه والتواصل معه، وليقاوم رغبات نفسه كما قاومها في الطعام والشهوة، فبحسب دراسة: متوسط ما ينفقه الشباب في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي ٣ ساعات

يوميًّا، وهذا يعني أن يفقد الإنسان من مجموع عمره قرابة ٧ سنوات فيما لا يفيد، وهو يعلم أن الوقت هو الحياة، وأن رأس مالنا الأكبر هو الزمن، وأن الدقيقة التي تفوت يقترب المرء بها من القبر، ويتحسر عليها حين يعجز ويمرض.

وختامًا فهذه جملة من مقاصد الصيام وحِكَمِه التي نؤسس بها لمبدأ تقصيد فريضة الصيام وقابليتها للتعليل والفهم، لتكون مُعينةً للحديث عن الصيام في المجتمعات غير المسلمة، كما تأخذ بيد المسلمين إلى تفعيل حِكَمِ الصيام ومقاصده في حياتهم وواقعهم، واللهَ تعالى أسأل أن يجعل صومنا وعبادتنا متقبلة خالصة، وأن يوفقنا لتحقيق معنى البلاغ المبين لرسالة الإسلام العالمية الحضارية إنه سميع مجيب.

03

رمضان جديد، فرص جديدة

كمال عمارة

رئيس المجلس الأوروبي للأئمة

في غمرة تَلَوُّنِ الحياة وتقلُّبها وكثرة الانشغالات وتعددها، يتجدد علينا شهر الصيام عاماً بعد عامٍ ليفتح لنا أبوابا جديدة نحو التأمل وإعادة ترتيب الأولويات، والتزود بخير الزاد لسائر الأيام وبقية الأوقات.

ولا شك أن ظروف جائحة كورونا اليوم تفرض على المسلمين تحدياتٍ جديدةً وحلولاً إبداعيةً في كيفية الاستفادة من هذا الشهر العظيم، فإذا تعذرت بعض مظاهر إحياء شعائر رمضان بسبب غلق المساجد وامتناع الاجتماع، فإن الله سبحانه وتعالى قد يسر لنا من السبل والوسائل الأخرى ما يبلّغنا به مقصد التقوى ومبلغ الهداية، وذلك من رحمة الله ومرونة التشريع.

بل إن ظروف هذا الوباء قد لفتت الانتباه إلى مجالات كانت غائبة، وقطاعات كانت مهملة في مواسم الخيرات السابقة. فالبيوت صارت معتكفاً للإيمان وإطاراً لدروس العلم وحلقات الذكر العائلية، والأبناء صار لهم النصيب الأوفر من العناية والتوجيه الرمضاني. كما أقبل الأئمة والدعاة على وصل ما انقطع من حبل التواصل بالمصلين عبر شبكات التواصل الاجتماعي وغرف الاجتماع عن بعد.

وإن كانت هذه الحلول، على أهميتها، لا يمكن أن تعوضنا عن بهجة المساجد العامرة في رمضان بالذكر والصلاة والقيام، ومتعة برامج الإفطار الجماعي، فإنها من باب أداء المتاح والقيام بأقل الواجب، فما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترَكُ جُلُّهُ.

ونحن ننطلق اليوم من تجربة ثرية في السنة الماضية، حقّقنا فيها أقداراً مهمة من التأقلم مع ظروف الإغلاق العام، وسيطرة أجواء الجائحة.

فما هي الحلول التي تيسّر الاستفادة القصوى من شهر الصيام لهذه السنة، وبخاصة في البيئة الأوربية؟

توصيات مهمة في رمضان

- احرص أن يكون رمضان محطة محاسبة وتقويم، وتصحيح لحياتك. سارع إلى التوبة.
- التزم بقرارات الهيئات الدينية في بلدك في دخول رمضان وخروجه، وفتاوى الصيام، وحافظ على صلتك بمسجدك عبر البرامج التي ينظمها.
- محنة الوباء والحجر تحمل معها منحة الاجتماع بالعائلة على الصيام والقيام والعناية بها، وتعَهُّد الأهل بالرعاية

والتعليم، فلا تفرّط في هذه الفرصة.

- احذر الإسراف في الأكل أو النوم، أو استعمال الأجهزة في رمضان. قال تعالى: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»
- تفقد إخوانك وجيرانك، فلعل فيهم المهموم أو المحتاج، واعلم أن رمضان شهر المواساة.
- إن كنت من العاملين في قطاعات الصحة أو الخدمات العامة لمواجهة الوباء، فاعلم أن جهدك في رمضان أعظم أجراً عند الله، فاغتنم واحتسب، فقد حباك الله بمكرُمتَين.
- اعلم أن هذا الشهر المبارك ضيفٌ راحل، فأحسن ضيافته، فالعمر قصير، والزاد قليل، والعقبة كؤودٌ، فاغتنم منه، فإنه لا يعود إلى يوم القيامة.

اجعلوا بيوتكم قبلة

لا يخفى ما للأسرة من دور في رعاية الأجيال الجديدة وتربيتها، وتحقيق التوازن النفسي لأفرادها حتى يكونوا عوامل بناءٍ، وأساساً للاستقرار والنماء. وإن كان هذا الدور مهما في المجتمعات المسلمة، فهو أشد أهمية وقوة في المجتمعات الغربية، حيث ندرة المحاضن التربوية، وسطوة

القيم المادية، وغياب المعاني الإسلامية من الحياة الاجتماعية والمؤسسات التربوية.

وقد اعتُبِرَ غيابُ الأسرة عن مواكبة المناسبات الدينية وإحياء الشعائر الإسلامية سِمةً بارزة في أوروبا لمدة طويلة، مما أضعف ارتباط الأجيال الجديدة بدينها واعتزازها بهويتها. لذلك لا بد من تدارك هذا الخلل، وإيلاء هذا الجانب ما يستحقه من الاهتمام. فالأسرة يجب أن تكون المجال الأول للتربية والتعليم، وتعظيم شعائر الله، والمحضن الأساسي الذي تُرَبَّى فيه الأجيال على العلم والتقوى وتحمل المسؤولية.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التحريم: ٦]

وقال تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»

وقال أيضاً: «وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ»

وقال رسول الله صلى اللهَّ عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ» (متفق عليه)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي وابن ماجه).

أفلا تهتم النفوس وتنشغل الهمم بفلذات أكبادٍ أُسْكِنت بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ مِنْ هدايةٍ وإيمانٍ، فتعمل على تزويدها بما يحصنها من جدب الروح ويرويها من العطش إلى الإيمان؟ ولله درُّ سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد كان شديد الخوف على ولده، شديد الحرص على رعايتهم، شديد الشوق لهدايتهم، رقيق القلب عليهم، فدعا ربه فقال:

«رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء.

الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء» [سورة إبراهيم: ٣٧-٤٠].

ثم جعل منتهى أمله أن يكونوا في هذه الأرض الغريبة الجدباء مقيمي الصلاة، هداةً مهديّين.

في رمضان .. بيوتنا أسعد

إن أشد ما يخلد في أذهان الأطفال من رمضان ويحببهم فيه، هو العادات الجديدة وأجواء البهجة والسعادة المرتبطة بها، لذلك لا بد من توفير هذه الأجواء في البيت، وأن يكون التعليم والتوجيه في جو من الألفة والسعادة، والحرص على اجتماع جميع الأسرة على أعمال رمضان وعباداته، وذلك عبر:

١. إشراك كل أفراد الأسرة في إعداد برنامج عائلي قبل أن يُهِلَّ هلالُ رمضان، على أن يتضمن:
   - الاجتماع على الإفطار والسحور، مع المحافظة على آدابها وسننها، والتعاون على الإعداد لها.
   - المحافظة على صلاة الجماعة والقيام.
   - حلقات علم وذكر
   - برنامج ترفيهي جماعي
   - إعداد رزنامة رمضان
٢. هذه الفكرة مستقاة من البيئة الأوربية في البيوت والمدارس، وهي مجرّبة، وأثبتت تأثيراً كبيراً وأضفت جوًّا من السعادة والتشويق والاستفادة لدى الأطفال خصوصاً. وتقوم الفكرة على اقتناء ثلاثين هدية

بسيطة، وإعداد ثلاثين قصاصة تتضمن مواعظ وحكماً، وتوزع الهدايا والقصاصات على رزنامة من ثلاثين يوما، ويقوم أحد الأطفال كلّ يومٍ بفتح القصاصة وقراءتها على الجميع والحصول على الهدية. وحبذا لو يقوم الأطفال أنفسُهم بكتابة المواعظ والحكم إن كان بمقدورهم ذلك، وليس هذا بمستبعد، فقد رأينا أطفالا مولودين في بلدٍ أوربيٍّ وقد أعدوا رزنامة بمواضيعها وقصاصاتها، تثير الإعجاب.

٣. مراعاة عدم إزعاج الجيران من غير المسلمين عند السحور خاصة، وإعلامهم بقرب دخول رمضان وتعهدهم بالرعاية والهدية، تأليفًا لقلوبهم، ولجعل هذه المناسبة تترافق دائما بانطباعات إيجابية لديهم.

٤. الحرص على ألا يؤثر برنامج رمضان على انتظام الأطفال الدراسي وتحصيلهم العلمي. وتجنيب الأطفال دون البلوغ صيام الأيام الطويلة.

٥. الاهتمام بيوم العيد عبر إعداد الزينة والهدايا، والقيام بنشاط خارجيٍّ لكل العائلة، كالذهاب إلى المسجد إن أمكن، أو تناول الغداء في مطعم أو زيارة الأهل والأقارب.

رمضان معراج النفس إلى الله

إن الاهتمام بالمناشط الجماعية والبرامج العائلية لا يمكن أن يحجب عنا الفرصة العظيمة في رمضان للرقي بالنفس وإصلاح الحال. إنّ رمضان، بالإضافة إلى كونه مناسبة اجتماعية تعمق الشعور بالانتماء والشراكة مع بقية المؤمنين في شرائع وشعائر واحدة، والإحساس بهموم المحرومين من الناس، فإنه مجال رحب لكل مسلم، يعيش فيه تجربة شخصية ربما لا يشاركه فيها أحد. لذلك فإن محطات من الخلوة وساعات من التهجد وعلاقة خاصة بالقران الكريم في هذا الشهر العظيم، تُعدُّ معياراً لحسن الاستفادة منه في تحقيق التوازن وبناء طاقة إيجابية تكون زاداً لسائر أيام السنة، وتسهم في رقيّ الفرد والمجتمع.

لذلك من المهم، إلى جانب البرنامج العائلي، أن يكون لكل فرد في الأسرة – وبخاصة الأبناء – برنامجٌ فرديٌّ يتناسب مع ظروفه والتزاماته، ويتوافق مع ميوله وحاجاته.

رمضان شهر القرآن

مع انتشار التقصير في رعاية القرآن في حياتنا، وهجره من

قبل أبنائنا، صار شهر رمضان المحطة السنوية الأهمّ لترميم هذا النقصان، وتدارك هذا الهجران، ولا غرابة في ذلك، فإن الله تعالى يفتح قلوب المؤمنين في رمضان إلى القرآن الكريم، فيشتد تعلقهم به، تلاوةً وحفظاً وتأملًا وتدبراً.

ورمضان والقرآن صِنوانِ لا يفترقان في كتاب الله وحياة رسول الله صلى اللهَّ عليه وسلم، ووجدان المسلمين على امتداد العصور.

- ففي رمضان أنزل القرآن: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» [البقرة: ١٨٥]
- وفي أعظم ليلة فيه، أُنزِل إلى بيت العزة جملةً واحدةً، قال تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» [القدر:١]. وقال تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» [الدخان: ٣].
- بل إن كل الكتب السماوية كلها أُنزِلت في رمضان، قال صلى الله عليه وسلم: «أُنزلت صُحفُ إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لِستٍّ مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت

من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآنُ لأربع وعشرين خلت من رمضان» [حسنه الألباني في صحيح الجامع].

- والصيام والقرآن شفيعان. قال صلى الله عليه وسلم: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». (أخرجه أحمد).
- لذلك كَانَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (أخرجه البُخَارِي)
- «وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها». «وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليالٍ مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة». (ابن رجب/ لطائف المعارف ص ١٩١).

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث» (لطائف المعارف ص ١٩١). وكان مالكٌ إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وهكذا كان حال السلف رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن اتبع سبيلهم، يتخذون من شهر رمضان محطةً لتلاوة القرآن وتدبره وتعلم أحكامه. ورغم أنهم كانوا أشد الناس حرصاً على التعلق بكتاب الله في سائر الأيام، فإنهم كانوا أشد حرصاً وأكثر اجتهاداً في شهر رمضان، وهذا حال المسلم الحقيقي، يحذر من أن يكون ممن ذمهم الله تعالى في قوله تعالى: «وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» [الفرقان:١٧].

وهِجرانُ القرآن قد يكون طوال العام أو بعضاً منه،

وقد يكون هجران تلاوةٍ أو تدبرٍ أو عمل، وقد يكون كل

ذلك والعياذ بالله.

لذلك يُعتبرُ رمضان محطةً سنويةً لتجديد العهد مع القرآن، والاستزادة من مَعِينِهِ وتدارك النقص في تلاوته وتدبره والعمل به.

وحبذا لو يكون ختم القرآن في هذا الشهر عنصراً قارّاً في برنامج كل فرد في الأسرة. ومن الملاحظ أن كثيرا من الناس، وبخاصة الأطفال والشباب، يعجز عن ختم القران خلال الشهر نظراً للارتباط بالتزامات مدرسية أو مهنية، لذلك يمكن تشجيعهم على أن يبدؤوا ختمة رمضان في شعبان ليتوافق ختمه مع العشر الأواخر منه.

برنامجٌ نموذجيٌّ ليومٍ رمضانيٍّ

- صلاة الفجر جماعة مع الأهل، ثم تسبيح ودعاء، وتلاوة ربع حزب من القرآن.
- صلاة الظهر جماعة، ثم تلاوة نصف حزب.
- صلاة العصر جماعة، ثم درس يومي في الفقه أو السيرة أو غيرها.
- تلاوة ربع حزب قبل المغرب، والحرص على الأجواء

الروحية عبر تشغيل ابتهالات أو مأثورات المساء أو غيرها أثناء الإعداد للإفطار.

- الإفطار على اللبن والتمر، ثم صلاة المغرب.
- صلاة العشاء والتراويح جماعة، يتخلّلها ذكر وتسبيح وموعظة قصيرة.
- تلاوة حزب قبل النوم.
- الاستيقاظ قبل الفجر، وصلاة ركيعات.
- السحور.
- تجديد نية الصيام، وكثرة الدعاء والابتهال.

04

رمضان والمسلمون الجدد ... نماذج مشرقة

كمال عمارة

رئيس المجلس الأوروبي للأئمة

لا يكاد يمر يوم في أوروبا دون أن يفتح الله قلوب بعض عباده من الأوربيّين إلى الدخول في الإسلام، والتحلّي بآدابه والتعلق بأحكامه. غير أن هؤلاء المهتدين الجدد يعانون غالباً في بداية حياتهم الجديدة ازدواجية الانتماء إلى عالمين، وينتابهم القلق مما يحمله لهم عالمهم الجديد، والخوف من العزلة في عالمهم القديم. فقد أكّد لنا كثير منهم أن أشد ما يشغلهم - بعد خطوة إعلان الإسلام أمران: الأول هو مصير علاقاتهم الاجتماعية القديمة، وأواصرهم العائلية. والثاني: مدى قدرتهم على فهم التكليفات الدينية الإسلامية وتطبيقها واحتمال تأثيرها على أعمالهم والتزاماتهم الوظيفية.

ويأتي في طليعة هذه التكليفات: الصيام، حيث يُعتبر أولُ رمضانٍ في حياة المهتدي محطةً فارقةً تمتزج فيها مشاعر متباينة، وقد يجد فيها صعوبة في التأقلم.

تقول معلمة نرويجية أسلمت قبل رمضان ١٤٤٠/ ٢٠١٩ مباشرة:

«منذ ٩ سنوات، كنت أؤمن أن الإسلام هو الدين الصحيح بالنسبة لي، وبمساعدة الرابطة (الرابطة الإسلامية في النرويج) كنت على استعداد لاعتناق الإسلام قبل رمضان

١٤٤٠/ ٢٠١٩، وأنا ممتنة جدًا لذلك!

أود أن أشارككم تجربتي مع رمضان، ويمكنني أن أقول إنني واجهت تحديات وإيجابيات في رمضان. لنبدأ بالتحديات.

- أنا المعلمة المسلمة الوحيدة في المدرسة التي أعمل فيها، لذا فقد واجهت قلة التفهم لصيامي بين زملائي. فقد كانت أيام عملي طويلة وشاقة، دون أي اعتبار أو تقدير لمستوى طاقتي أو قدرتي على التركيز.
- كامرأة عزباء، عانيت من الوحدة في أيام رمضان الطويلة خلال الأسبوع، لقد كنت محظوظةً جدًّا لأنني كنت أتلقى دعواتٍ على الإفطار من العديد من العائلات في مؤسسة الرابطة، ولكن نظراً لارتباطاتي المهنية ولأنني يجب أن أستيقظ في الساعة ٥:٣٠ كل يوم، كان يجب عليّ أن أنام قبل الإفطار مباشرة وبعده أيضا، لذلك لم تُتَح لي الفرصة لتلبية تلك الدعوات. إن شاء الله، سيكون لديّ عائلتي في غضون سنوات قليلة، وربما تكون أيام الأسبوع في رمضان أكثر متعة حينها.

- مكان إقامتي بعيد جدًّا عن الرابطة، ولا أستطيع المشاركة في التراويح في أيام العمل، الأمر الذي جعلني أشعر بالاكتئاب قليلاً.

أما الجوانب الإيجابية من تجربتي مع الصيام ورمضان، فأصفها كالتالي:

- مرَّ الجوع والعطش بعد يوم أو يومين، ولا أشعر بهما إطلاقا الآن.
- أصبحت أكثر صبراً، خاصة في أثناء التدريس في الفصل مع طلابي.
- أشعر بأنني أقرب إلى الله مع كل يوم يمر.
- أشعر بدافع أكبر لتعلُّم سورة جديدة وقضاء الكثير من الوقت في قراءة القرآن، والقراءة عن الإسلام.
- أشعر أنني محظوظة، لأنني جزء من دين يمكّنني من الذهاب إلى التراويح في المساء. هناك أشعر بسعادة ومتعة حقيقيتين!
- على الرغم من أنني لا أحصل على الكثير من الدعم من زملائي، إلا أنني أحصل على الكثير من الدعم من طلابي. يصوم العديد من طلابي أيضاً، لذا فقد أصبح

هذا شيئاً نقوم به معاً في صَفِّي، وهناك العديد من غير المؤمنين الذين صاموا لعدة أيام «تضامنًا» معنا.

- أشعر وكأنني جزء من شيء كبير عندما أصوم، وغالبًا ما أعتقد أننا حوالي مليار شخص يصومون معًا، وهو أمر أعتقد أنه من الجيد التفكير فيه.
- عززت علاقتي بالمسجد وبالناس الجميلين الذين قابلتهم في الرابطة. أنا سعيدة جدًّا بكل الدعم والرعاية الذي أظهروه لي. شكرا جزيلا عائلتي الرابطة

على الرغم من أنني أشعر بالحزن قليلاً عند انتهاء شهر رمضان لهذا العام، إلا أنني أتطلع إلى الاحتفال بالعيد لأول مرة! الحمد لله!

أما الطبيب النرويجي لارس، فقد كتب عن أول صيام له في رمضان فقال:

أول رمضان لي

السلام عليكم

نحن الآن في منتصف أول صيام لي لشهر رمضان في

حياتي. انتابتني مشاعر مختلطة من الفرح والتخوف قبل بداية الشهر بقليل، وتساءلت: كيف ستسير الأمور، هل سأتحمل قضاء كامل اليوم دون تناول الطعام والشراب، دون أن ينهار عقلي...؟

ما شاء الله ! أنا أبلى بلاءً حسناً، بل إنني في حالة جيدة جدا بشكل مدهش !!! حتى إنني كنت في نزهات وجولات في الطبيعة، وذهبت لمسافات طويلة في أيام إجازتي، وهو شيء أحب القيام به. نعم، أشعر بعدها بعطش أكثر قليلاً، لكن ليس أكثر مما أستطيع تحمله. الجوع ليس مستمرًا، ولكنه يأتي فقط في موجات قليلة قصيرة على مدار اليوم. ربما يكون أكثر مرونة قليلاً في المساء، عندما يقترب الإفطار، عندها يجب أخذ المزيد من جلسات العزف على «البيانو». كان أول يومين من الصيام صعبين بعض الشيء، ولكن بعد ذلك يبدو أن الجسد قد دخل في وضع جديد. حتى أنني لم أفتقد قهوة الإسبريسو المعتادة في الصباح، تقريبًا لا أفكر في ذلك.

لقد قمت ببعض التعديلات فيما يتعلق بالعمل؛ أنا محظوظ جدًا لأنني أقرر بنفسي ساعات عملي، ويمكنني تغييرها إذا لزم الأمر. لذا فأنا أعمل ساعات مخفضة طوال شهر

رمضان، وأبدأ يوم العمل فقط في منتصف النهار وأعمل نصف يوم ... وهذا يعني أنني أحصل على حوالي ٦ ساعات من النوم المتواصل من السحور/ الفجر (قبل الساعة ٤:٠٠ بقليل) حتى ساعة الاستيقاظ.

التحدي الأكبر بالنسبة لي هو النوم المتقطع، إن الاضطرار إلى الخروج من النوم العميق والاستيقاظ لتناول الطعام في حوالي الساعة الثالثة ليلًا يبدو غريبًا للغاية ... خاصة أن الأمر يستغرق بعض الوقت للقدرة على الرجوع إلى النوم بعد ذلك، لكن - كما ذكرت أعلاه - لديّ فرصة أن أنام جيدًا في الصباح، وهذا ينقذني. وأنا أعي أن هذه الأوقات الغريبة هي - أولاً وقبل كل شيء- نتيجة العيش في خطوط العرض العليا (نعيش عند ٦٠ درجة شمالًا)، وليست حالة معظم المسلمين في العالم، الذين يعيشون في خطوط عرض أقرب إلى خط الاستواء، والصيام عندهم كل يوم يزيد أو ينقص قليلاً عن ١٢ ساعة مهما كان وقت حلول شهر رمضان.

لاحظت بعض التغييرات المثيرة للاهتمام على المستوى العقلي، خاصة منذ اليوم الثالث: فكأن قدرتي على الصبر

والرحمة قد زادت بضع درجات، وكذلك حالة الرضا والقدرة على التحكم في الحاجات المادية كالطعام والشراب. إنه تمرين انضباط جيد للغاية يستفيد منه جميع الناس. أشعر حقًّا أن رمضان عزّز إيماني، والحمد لله.

كما أنني أحصل على دعم معنوي وغذائي جيد جدًّا من عزيزتي، كما أن الفترة التي تسبق الإفطار فيها كثير من المرح والمتعة ! (مما يشجع ربما على الأكل أكثر...).

وأنا أعلم أن الكثيرين شملوني بالدعاء في صلواتهم، لأتمكن من قضاء رمضان بطريقة جيدة. أعتقد أن الله سمع هذه الدعوات واستجاب لها. الحمد لله.

الله أكبر! السلام، لارس.

إن كلام هذين المسلمَين الجديدَين يُحتِّم علينا النظر في الوسائل الكفيلة بمساعدة هؤلاء المقبلين الجدد على هذا الدين، بعد أن فارقوا عاداتهم ومألوفاتهم، وضيقوا من حدود علاقاتهم القديمة، حتى يكون الإسلام نافذة جديدة، نحو السعادة، والسلام النفسي، والشعور بالجماعة الحاضنة، والأخوّة الحانية.

من التجارب التي تأكدت نجاعتُها في احتضان المسلمين الجدد في رمضان:

- إقامة إفطارات جماعية خاصة بهم.
- تنظيم لقاءات بين الجدد وأصحاب الخبرة من المهتدين لتبادل الخبرات وتذليل العقبات.
- إقامة دورات علمية في فقه الصيام.
- ربط كل مهتدٍ جديد بعائلة مسلمة تكون راعية ومرجعا له فيما يستشكل عليه، ويشهد معها الإفطار أحيانا.

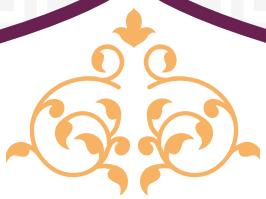

عَنْ سَهْلٍ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ.

[رواه البخاري]

05

رمضان .. موسم إصلاح وترشيد

هيئة التحرير بالمجلس الأوروبي
للأئمة

يأتي رمضان المبارك شهراً كاملاً في كلِّ عام، محمّلاً بمخزونات ثمينة لا تصحّ الغفلةُ عنها في الإصلاح والترشيد، وإحياء القيم النبيلة وتَمَثُّل المعاني السامية. إنّ رمضان موسم متعدِّد المكاسب، فالشهر المبارك موسم علم وعمل، وعبادة وإحسان، وتأمُّل وتفكُّر، وتواصُل وتراحُم.

تُدرِك المجتمعات الحديثة فرصاً كامنة في المواسم والمناسبات، فتستثمرها وتفتعل مزيداً منها؛ للاحتفاء بقيم، وترسيخ مبادئ، واجتثاث آفات، أو إنعاش سوق، ولمقاصد أخرى تتعدّد. لكنّ موسم رمضان يتألّق في الواقع الإنساني بامتياز عَزَّ نظيرُه؛ فهو يخالج الإنسانَ في أعماقه، وتنتظم فيه الحياة اليومية على غير المعهود شهراً بحياله، في مدرسة تربوية وسلوكية واجتماعية تجدِّد للمجتمع روحَه وترجِّح بها توازنه وتوثِّق عُراه وتُحرِّره من أدرانه.

يحمل رمضان المبارك من تلقائه فرصاً هائلة إلى المجتمعات، تنوءُ بمثلها حملاتٌ واسعة وجهود مُضنية في الإرشاد والتوعية والإصلاح، تُفتَعل لها مناسبات، وتُستحدَث لها أعياد، وتُحشد فيها موارد صوب أهداف محدّدة، دون أن يتأتّى لها وازع يكافئ ما يحرِّك المؤمنين من تلقائهم في شهر الصِّيام. لا يُسفِر هذا

الشهر عن مكنوناته الزاخرة بإقامة الشعائر في عزلة عن الحياة أو انكفاء عن المجتمع، فرسالة رمضان المبارك تُهيِّئ الأسباب لانتظام الحياة ذاتها بمعايير الصلاح والاستقامة في الأمور كلِّها؛ من قوْلٍ وعملٍ، وفكر ومقصد.

يعود هذا الموسم في كلِّ عام في دورة إنعاشٍ للأرواح، وربيع متجدِّد للمجتمعات، تُحفِّز الأذهانَ المتفتِّحة على إعادة اكتشاف رمضان من وجوه متعدِّدة لا ينقطع النور والخير والبركة فيها. إنها خبرةٌ متجدِّدة لا تتأتّى لمن يريدونَه موسمَ طقوسٍ مجرّداً من الرُّوح، أو تقاليدَ شكلية ترضخ للواقع، أو شعاراتٍ جوفاءَ تقعد عن الإصلاح، أو موسمَ استهلاكٍ جامح وترفيهٍ متضخِّم.

تنفتح للإنسان في شهر الصّوْم آفاقُ عُلوية حجبتها غشاوةُ الحياة اليومية وانشغالاتُها الأرضية، ومن شأن هذا التشوُّف السامي أن يُهيِّئ الإنسان الحائر لإدراك الوجود، والإقرار بحقائِقِه الكبرى بمنظور إيمانيّ يتجاوز تموضُعاً أرضيًّا محدوداً، ضمن كوْن يَعجَز وعيُ البشر عن الإلمام بأطرافه القاصية، أو استيعاب معادلاتِ انتظامه المعقَّدة. وإن لم يرتفع الإنسانُ ببصره، فإنّ الواقع الأرضيّ من حوله كتابٌ مفتوح

للتفكّر والاكتشاف المذهل، إنْ في النظرة الإجمالية، أم في التدقيق التفصيلي: «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ» [الذاريات: ٢٠]. أمّا الصوم عيْنُه، فيتفاعل في بَدَن الإنسان الذي يختزن أسراراً مستعصية على الأفهام حتى في زمن الفتوح العلمية العظيمة، فالإنسان كوْنٌ مصغَّر ينتظم بدقّة مُعجِزة تدلّ على اللطيف الخبير: «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ» [الذاريات: ٢١].

ثمّ إنّ رمضان مدرسةٌ نبيلة في الصبر والاحتمال، تتربّى فيها المجتمعات على قوّة الإرادة، والقدرة على التحكُّم، بما يُرَشِّد الحرية ويضبطها بالمسؤولية، ويسعفها في الكفّ عن الاغتراف المتواصل من دنيا زائلة والتعلق بحطامها. وفي مدى هذا الشهر العظيم فرصة استدراكٍ بعد زللٍ، ونافذة تحرّر من ثقافة استهلاك جارفة. يخطئ من يَقيس الجدوى بمدى التقليل من منسوب الطعام والشراب على مدار شهر الصيام؛ فالجدوى تتجلّى أساساً في التحرّر من التثاقل إلى الأرض؛ والاقتدار على ضبط الرغبات، والتحكّم في الانفعالات، والإمساك بالزمام، فيتحكّم الإنسان بشهواته، ويضبطها بدل اتّباعها وانقياده لها.

وفي رمضان، رسالة تآخٍ وتلاقٍ بين البشر، بما تجسِّده

من وَحدة حالٍ في الاصطبار والاحتمال، والارتواء والقيام، أو وَحدة وجدان في العواطف والمشاعر والانفعالات. إنها مدرسةٌ للغنيّ والفقير، يتكافأ فيها البشر على تعدّد ألوانهم وهيئاتهم، ومواطنهم وطبقاتهم. ولا يكتمل الدرس دون سَعي إلى التكامل وردم الفجوة عبر عطاء يُدفَع به إلى من يحتاجه، من وجوه إنفاق مفروضة، لا مِنّة فيها ولا أذى، وأبواب تنافس مرغوبة في وجوه الخير والتضامن.

وفي رمضان فرص التقاءٍ ومعايشة وسلام، في مجتمعاتٍ تتنوّع طوائفها وتتعدّد ثقافاتها، ومن شأن هذا أن يُعين المجتمعات على احتواء الأزمات، وإزاحة الحواجز، وتجاوز القوالب النمطية الساذجة، والأحكام المُسبقة المضلِّلة، التي تُستغَلّ في إثارة الأحقاد وبعث الضغائن.

ما أحوج الناس إلى رمضان المبارك، وأن يُدرِكوا ما في هذا الموسم العظيم من فضائل لا تَنضب.. وكيف للحياة أن تستقيم بدونها؟!

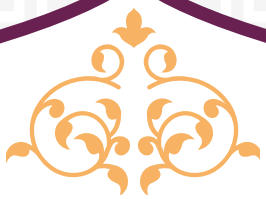

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ـ رضى الله عنـه ـ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم قَـالَ:

مَـنْ قَـامَ لَيْلَـةَ الْقَـدْرِ إِيمَانًـا وَاحْتِسَـابًا غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ، وَمَـنْ صَـامَ رَمَضَـانَ إِيمَانًـا وَاحْتِسَـابًا غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ.

[رواه البخاري]

06

رمضان .. في زمن التشبيك، والأجهزة المحمولة

هيئة التحرير
بالمجلس الأوروبي للأئمة

كانت إدارات المساجد والمراكز الإسلامية في الديار الأوروبية، قبل عقود مضت، تنشغل بالردّ على اتصالات هاتفية أرضية لا تنقطع من مجتمعاتها المحلِّية المسلمة قبيل دخول شهر الصيام، وقبيل إتمامه، للاستفسار عن تحرِّي الهلال وبداية الشهر وانتهائه. كان المسجد أو المركز يمثِّل مركز الإرشاد الديني غالباً في العديد من المجتمعات المحلية المسلمة في أوروبا. لكنّ مركزية التلقِّي والتلقين شهدت تحوّلات جوهرية من بعد. فالجمهور الذي صار يحصل على المعلومة ذاتها عبر قنوات فضائية، ثم من خلال الشبكات ومنصّات التواصل، اقتدر تقريباً على تجاوز قسط وافر من الدور الإرشادي الوسيط للمسجد أو المركز الإسلامي في بعض المجالات، وإن تعدّدت الحالات والوقائع بطبيعة الحال ضمن المشهد المتنوّع لمسلمي أوروبا. يمكن اختبار هذا التحوّل في مسألة الفتاوى مثلاً، والدروس الإرشادية والوعظية أيضاً، التي تنفتح على خيارات متجاوزة للمكان والبيئة المحلية.

لهذا التحوّل مَظاهِرُه في العالم الإسلامي عموماً، فلا تُطلَب «الفتوى» من «علماء البلد» وحدَهم، بل يبحث بعضهم عن مُفتٍ مرغوب أو حتى عن فتوى مفضّلة، كحالِ خُطب

جُمَعية ودروس وعظية يواكبها المهتمّون حسب تفضيلاتهم في الشاشات والشبكات دون اعتبار مَنشئِها المكاني تقريباً؛ ومن شأن هذا أن يضغط على البنى القِيَميّة والاختيارات الجامعة على نحو يحاكي الافتراق في أيام الصيام والفطر والأعياد تبعاً لاختلاف الأقوال والتقديرات والمعاينات والحسابات في مسائل المواقيت والأهلّة.

تسارعت التحوّلات التي تشهدها المجتمعات الإنسانية، تفاعلاً مع تطوّراتٍ كبرى في واقع الإعلام والاتصال والتشبيك والتقنيات. يتلقّى الجمهور اليوم مزيداً من المضامين من مصادر أكثر تنوّعاً، وبصفة متجاوزة للمكان كما لم يحدث من قبل، وصار الجمهور شريكاً في إنتاج المحتوى وتبادله عبر الشبكات الاجتماعية وتطبيقات التواصل. تعود هذه الحالة على المجتمعات بمكاسبَ وفُرصٍ وتفرض تحدِّيات أيضاً.

أدّت انسيابية المحتوى وتمدُّده عبر أوعية التواصل والإعلام والثقافة إلى تخطّي دور المؤسسة والمعلِّم، والمرشد والمربِّي والواعظ، وحتى الأسرة ذاتها. ومع تنامي خيارات التلقين والتلقِّي الذاتي لدى الجمهور؛ قد يستشعر الفرد فرصَته في الاستغناء عن وسطاء العلم والإرشاد والوعظ والتوجيه

المباشرين في محيطه، وقد يزهد بهم أو يتعالى عليهم؛ ليلتحق بمن يراهم أجدر بالأخذ عنهم أو الانضمام إليهم بصفة غير مباشرة ينشأ معها نمط جديد من وشائج الرعاية والإلهام والتأسِّي، أو آصرة «الشيخ والمُريد»؛ نمط يقوم على الافتراق المكاني والنجومية المرئية مع التعالي على مراكز التوجيه التقليدية في مجتمعه.

تتعاظم خيارات الضخّ التواصلي؛ فعلاوة على تزاحم آلاف القنوات على الشاشة الرقمية؛ تتمدّد الشبكات بصفة هائلة شكلاً ومحتوى، وتضمّ في ذاتها تناقضاتٍ وتجاذباتٍ تستبطن التنوّع وتحفل بالاستقطابات، كما يتّضح، مثلاً، في وفرة هائلة من الإرشادات والفتاوى المتعدِّدة أو المتعارضة في كثير من المسائل، والتي يبعث بعضها على التِّيه والاضطراب بالنسبة لجمهور غير متخصِّص أو لا يملك أداة التمحيص.

كان الجمهور المسلم، أو بعضه بالأحرى، يسعى إلى المسجد القريب طلباً للإرشاد، وصار على إدارة المسجد أن تُولِي عنايةً خاصةً للوصول إلى الجمهور حيث هو، عبر ما يتوفّر لها من خيارات التواصل. تبقى وسيلة التواصل ذاتها فرصة أيضاً لتحقيق حالة مواكبة ومعايشة بين المسجد ومجتمعه المحلي، وما يتجاوزه أيضاً. فالمغزى هنا؛ أولوية الوصول إلى الجمهور

بدل الاكتفاء بانتظاره.

وكما لا يصحّ بمؤسسات المجتمع ومرافقه أن تبقى على ما كانت عليه قبل عقود؛ فإنّ دور المسجد في مجتمعه يتجاوز الحضور المكاني المتمثِّل في دخول الجمهور أروقته الطاهرة. يجدُر مراعاة هذا المطلب، بالأحرى، في تواصل المسجد والمركز الإسلامي مع المجتمع عموماً على تنوّع مكوِّناته في المعتقدات والمشارب والأوساط والشرائح.

إنّ اتِّساع آفاق التلقِّي المتاحة للجمهور في المجتمع المسلم المحلي، يقتضي من الإمام والخطيب ومن القائمين على جهود الإرشاد والتعليم والتثقيف ضمن المساجد والمراكز الإسلامية في أوروبا العناية المتزايدة بالجودة والتميّز، إن أرادوا اجتذاب الجمهور وتعميم النفع في فضاء تواصلي متزاحم. ويفرض هذا، بطبيعة الحال، التزامات مضاعفة في المسؤولية عن المحتوى والأداء والتعبيرات. لا يقضي هذا بالاكتفاء بواسطة البث الشبكي للدروس المسجدية في هيئتها الأولى مثلاً، لأنّ الفرص المتاحة أوسع من هذا وأرحب، وتنويع أنماط المادة الإرشادية وقوالبها حاجةٌ يمليها الواقع التواصلي المتجدِّد. قد يتحقّق القياس الميسّر لأداء إدارة المسجد في هذا الشأن بالنظر إلى منسوب المخاطبة المجتمعية القائمة في مرافق المجتمع

الأخرى وهيئاته على تنوّعها، مع تحفيز الأخذ بما يستجدّ من خبرات وفنون في هذا الباب. من الخطأ الاقتصار في هذا المقام على تطوير الأدوات التقنية وإعفاء مضامين الخطاب وكيفيات المخاطبة من التمحيص والتحسين والمعالجة الحكيمة.

قد يشقّ المسعى على إدارة المسجد إن لم تجد ما يُسعفها من الخبرات والموارد اللازمة لبعض هذا، لكنّ فرصتها المؤكدة تتمثّل في إدماج جمهورها في إنتاج المحتوى وتطويره وتبادله. إنّ ضمان تفاعل الجمهور، المباشر منه وغير المباشر، كفيل - بعون الله - بإحداث نقطة تحوّل أو قفزات نوعية في الجهود التواصلية للمسجد والمركز في زمن التشبيك والأجهزة المحمولة. إنّ «المسجد الافتراضي» إن جاز التعبير يتيح معايشة واقعية أيضاً؛ بما يتأتّى له من اقتدار على بلوغ أوساط لم يكن منبر المسجد ببالغها من قبل.

ومن مقوِّمات الامتياز أن تتهيّأ للمسجد شراكاتٌ وأواصر يتعاون فيها مع مساجد ومراكز وهيئات وجمعيات وتشكيلات مجتمعية من المسلمين وغير المسلمين، تلتقي على كلمة سواء، ولا شكّ أن موسم رمضان المبارك يختزن فرصاً واعدة ومتجدِّدة في هذا الحقل.

غنيّ عن البيان أنّ موسم رمضان المبارك واقع يتجلّى في

الشبكات الاجتماعية وتطبيقات التواصل أيضاً، ومن شأن هذا أن يُنعِش النشاطات المسجدية التي تسعى على بصيرة إلى معايشة الشهر الفضيل في أوساط المسلمين وغيرهم. يَسَعُ المساجدَ والمراكزَ الإسلاميةَ، مثلاً، أن تُطلق مسابقات تشجِّع الجمهور على التعبير عن الرُّوح المتألِّقة والرسائل النبيلة والقيم السامية التي يجدونها في أيام رمضان ولياليه، بمضامين مبثوثة في مواقع التواصل وتطبيقاته، أو أن تحفِّز خوض تحدّي المبادرة الإيجابية كي يتنافس المتنافسون في حقل مخصوص من حقول الخير والبرّ والتواصل والتضامن.

تتحقّق المعايشة المسجدية في الزمن التواصلي الجديد بخيارات تفاعليّة غير مسبوقة أيضاً، وهذا يقتضي حسّ مبادرة وروح إبداع يختزنه جمهور المسجد؛ وهذا ممّا يجدر التنقيب عنه واستثماره على أحسن وجه.

جدير بالنظر أنّ نشاط المسجد في إحياء رمضان صار مع الفرص التواصلية المستجدة نشاطَ المجتمع وما يتجاوزه، وإغفال هذه الفرصة السانحة تحجيم للأداء وتضييقٌ لواسع.

طوى زمنُ التشبيك والأجهزة المحمولة مركزيةَ البثّ والتلقين، وأحادية الاتجاه في المخاطبة، فالواقع المستجد يضع الجمهور في مركز الحالة التي تقوم على تفاعلية متبادلة يجدر

الاعتراف بها والتكيُّف معها، واستيعاب النّقد الذي يرتفع منسوبه وتشتدّ تعبيراته عبرها، ومن شأن هذا أن يحفِّز العناية بالإتقان في الحضور والأداء والتصرّف؛ في العمل المسجدي وسواه من المجالات المجتمعية. تستثمر الإدارات الحاذقة الشبكات الاجتماعية وتطبيقات التواصل في استشعار آراء جمهورها وتفضيلاته لأجل التطوير المستمرّ؛ الذي لا غنى لأي إدارة رشيدة عنه، مع السعي إلى تكييف المخاطبة بما يتحرى خصوصية بعض الفئات والشرائح والأوساط.

إنْ لم تُنجِز إدارات المساجد والمراكز تجربة التحوّل الشبكي بمقاصدها الحسنة ومواصفاتها اللائقة، مع التجديد المستمرّ في هذا المضمار المتجدِّد؛ فإنّ فرصتها وإن تأخّرت تبقى قائمة؛ إن عزمت على اللّحاق وسَعَتْ إلى الاستباق، فمزيد من الآفاق التواصلية تنفتح عاماً بعد عام، أو مع كل موسم رمضانيّ بالأحرى.

07

تطوير البرامج والنشاطات المسجدية في رمضان

هيئة التحرير

بالمجلس الأوروبي للأئمة

يمتدّ الموسم الرمضاني المبارك شهراً بحِيَالِهِ، تنفتح معه آفاق رحبة للبرامج والنشاطات المسجدية، التي تجدر العناية بتنميتها وتطويرها حولاً بعد حولٍ، أخذاً بعين الاعتبار الأولويات والمتطلبات والخيارات التالية:

- تنويع البرامج والنشاطات المسجدية بما يوائم طبيعة موسم رمضان ويتحرّى مقاصده ويُلبِّي احتياجات الجمهور المتعددة. غنيّ عن البيان أنّ هذا الشهر فرصة مثالية لتعليم الأجيال أمور دينها، ولإنعاش الإيمان الدافئ والحضّ على الطاعات وتنمية الالتزامات القِيَميّة، وللتشجيع على المبادرة إلى الخير والبرّ والإحسان، والتراحم والتواصل بين الأجيال، ولتوثيق عرى المسلمين فيما بينهم، ومع مجتمعهم العريض، وتنمية حضورهم الإيجابي في البيئة المحلية.

- إعادة تصميم برامج رمضان ونشاطاته بما يُراعي التحوّلات والمستجدات في الواقع والبيئة المحلية. يتّضح هذا، مثلاً، في مواسم الأوبئة والجوائح - نسأل الله العافية - بما قد يترتّب عليها من إغلاقات، وتعليق الصلوات الجامعة،

وفرض إجراءات وقائية حسب تعليمات السلطات الصحية المختصة.

- إدماج جمهور المسجد في تطوير البرامج والنشاطات، من خلال خيارات تفاعلية في تصميم هذه البرامج والنشاطات وفي تنفيذها. من شأن هذا المسعى أن يحقِّق جملة من المكتسبات المرجوّة، منها:
  - ربط الجمهور بالمسجد أو المركز بعُرى أوثق.
  - تكييف البرامج والأنشطة بما يراعي اهتمامات الجمهور ويتحرّى احتياجاته.
  - تنمية القدرة على الوصول إلى أوساط وفئات في المجتمع.
  - تمكين إدارة المسجد أو المركز من استشعار انطباعات الجمهور والاستفادة منها في التحسين والتطوير.
  - تخفيف أعباء التنفيذ عن إدارة المسجد أو المركز والانفتاح على خيارات تطوّعية.

- رغم أنّ الأولوية في النشاطات والبرامج ينبغي أن تتوجّه في العادة إلى جمهور المسجد المباشر في المقام الأوّل، إلاّ أنّ ذلك

لا يقضي بالاقتصار على هذا الجمهور اللصيق وحده. يَجدُر توسيع مجالات النشاط إلى دوائر أوسع وأوساط أكثر تنوّعاً، من خلال خيارات عملية وتواصلية وشبكية متعدِّدة.

- على المساجد والمراكز الإسلامية أن تطوِّر برامج اجتماعية وخِدْميّة خاصة بشهر رمضان المبارك، فهو موسم العطاء والتراحم. يُنصَح في هذا المقام بتنظيم برامج ونشاطات تتوجّه إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، ونزلاء المشافي وأصحاب الأمراض المستعصية، والفئات الضعيفة والهشّة في المجتمع، والفقراء والمحتاجين وفاقدي المأوى ونزلاء السجون، من خلال مبادرات مباشرة و/ أو عبر شراكات مع مؤسسات وهيئات متخصِّصة. من المهمّ الحرص على معايير الجودة ومتطلّبات الرعاية والتواصل في هذا الشأن حسب ما هو مقرّر في الأنظمة المحلية وما يُتعارَف عليه في البيئة المحلية.

- إنْ وافق شهر رمضان المبارك، وموسم العيد من بعده؛ مناسباتٍ ومحطّات عامّة أو أيّاماً وطنية ودولية أو مبادراتٍ وحملات مجتمعيّة؛ يجدُر اغتنام هذه الفرصة قدر الإمكان في تقديم رسالة رمضان للمجتمع وإبراز القيم الإيجابية ذات

الصلة التي يحضّ عليها الإسلام، وتوجيه بعض برامج رمضان ونشاطاته بما يتناسب مع هذه المناسبات ونحوها إنْ أمكن.

- على إدارات المساجد والمراكز الإسلامية أن تحرص على تقديم رمضان لمجتمعها العريض والمتنوِّع. يقتضي هذا، مثلاً، توجيه قسط من برامج رمضان ونشاطاته نحو حضّ المجتمع المسلم المحلِّي على إنعاش المعايشة الإيجابية والتواصل الحميد مع شركاء المجتمع من حولهم، خاصة من خلال أواصر الجيرة والزمالة والصداقة والعلاقات الاجتماعية المتعددة. إنّ إقامة موائد الإفطار الجامعة مثال حَسَن في هذا الشأن دأبت عليه مساجد ومراكز وجمعيات في مدن وبلدات أوروبية، يجتمع عليها الناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم في تراحُم ووئام، وقد يتوجّه بعضها إلى فئات معيّنة في المجتمع هي أحوج إلى من يتفقّد أحوالها ويُجالِسها.

- مواكبة الاهتمام الذي تُبديه بعض وسائل الإعلام والصحفيين والمؤثِّرين في مواقع التواصل الاجتماعي بهذا الموسم، من خلال تهيئة فرص التعرّف على هذا الموسم

وإنجاز تقارير إيجابية أو مُنصِفة عنه، وتوضيح ما يلزم توضيحه لدفع ما قد يقع من سوء فهم أو إساءة تأويل. على إدارات المساجد والمراكز الإسلامية أن تجتذب التغطيات الإعلامية الإيجابية عن هذا الموسم وتُيسِّر لها السُّبُل، من خلال مواكبة البرامج والنشاطات المسجدية أو الاجتماعية المتصلة بالشهر المبارك، أو التمكين من المعايشة الإعلامية والشبكية لحياة المسلمين في رمضان في نطاق الفرد والأسرة والحياة اليومية، عبر برامج مخصصة لهذا الأمر قد تقوم إدارة المسجد أو المركز بتهيئة السُّبُل لها والتفاهم مع الصحافيّين والناشطين الشبكيّين بشأنها.

- الحرص على مراعاة المعايير البيئية والالتزامات الإيكولوجية والصحية والمبدئية في نشاطات رمضان وبرامجه، ويُنصَح بتقيُّد المسجد أو المركز عموماً بهذه المعايير والالتزامات بطبيعة الحال. لا يصحّ، مثلاً، إهمال الخيارات الأمثل للتعامل مع النفايات والمُخلّفات. وينبغي المفاضلة بين المواد المستخدمة في البرامج والنشاطات والموائد حسب مواصفاتها الصحية والبيئية/ الإيكولوجية أيضاً، وأن يقدِّم المسلمون مثالاً حميداً لأنفسهم ومجتمعهم في هذا الشأن. يَجدُر

اغتنام الموسم الرمضاني في التوعية والترشيد في هذه المجالات التي تتعاظم أهميتها في الحياة الحديثة مع الاستفادة من المؤسسات والجمعيات المختصة في هذا المقام، وتنظيم حملات من قبيل «رمضان أخضر»، أو «صيام صحي»، أو نحو ذلك.

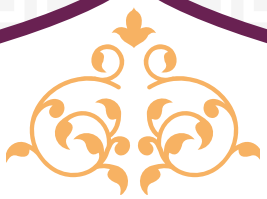

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ـ رضى الله عنـه ـ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم قَـالَ:

قَـالَ اللهُ: كُلُّ عَمَـلِ ابْـنِ آدَمَ لَـهُ إِلاَّ الصِّيَـامَ، فَإِنَّـهُ لِي، وَأَنَـا أَجْـزِي بِـهِ. وَالصِّيَـامُ جُنَّـةٌ، وَإِذَا كَانَ يَـوْمُ صَـوْمِ أَحَدِكُـمْ، فَـلاَ يَرْفُـثْ وَلاَ يَصْخَـبْ، فَـإِنْ سَـابَّهُ أَحَـدٌ، أَوْ قَاتَلَـهُ فَلْيَقُـلْ إِنِّي امْـرُؤٌ صَائِـمٌ. وَالَّـذِي نَفْـسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ لَخُلُـوفُ فَـمِ الصَّائِـمِ أَطْيَـبُ عِنْـدَ اللهِ مِـنْ رِيـحِ الْمِسْـكِ، لِلصَّائِـمِ فَرْحَتَـانِ يَفْرَحُهُمَـا إِذَا أَفْطَـرَ فَـرِحَ، وَإِذَا لَقِـيَ رَبَّـهُ فَـرِحَ بِصَوْمِـهِ.

[رواه البخاري]

08

رمضان في زمن الجائحة

هيئة التحرير

بالمجلس الأوروبي للأئمة

حلّ رمضان المبارك بلا مساجد تستقبل المصلِّين، وجاء شهرُ القرآن بلا معتمرين، وانقطع شدّ الرحال فيه إلى المساجد الأساسية في الإسلام. إنها خبرة قاسية عايشناها جميعاً في زمن استثنائي، وأدركت الأمم عبر القارّات والأقاليم مثيلاتها بعد أن توقّفت عجلة الحياة اليومية بإغلاقات صارمة اقتضتها الأولوية الصحية في زمن الجائحة.

إنها محنة عظيمة واختبار قاسٍ، لكنّ مدرسة رمضان المبارك تُشرع أبوابها في كلِّ الظروف، فالاقتدار على خوض التجربة يصقل الإنسان ويهيِّئه لمزيد من الارتقاء، فوق صبره واحتسابه.

اجتمع موسم رمضان الاستثنائي مع ظرف الإغلاق الشامل، فصار الاختبار أن نجهد في الارتقاء ونحن في قعر المحنة؛ أن نسعى إلى تقارب الوجدان رغم تباعد الأبدان؛ أن نَعمُرَ المساجد وهي موصدة قسراً أو متوقِّفة عن الصلوات الجامعة. ألقَت بنا الجائحة في مواجهة التحدِّي؛ وأثقلت كاهلَ كلٍّ منّا بمسؤولية مباشرة لا مناص منها؛ فأنتَ أيها المسلم الإمامُ اليوم لمن حولك، وأنتَ من يقيم الصلاة في بيتك، وأنت من عليك المبادرة في مجتمعك، وأن تلتمس تذكير نفسك بالطاعات وتحفيز غيرك للخيرات.

فتحت الجائحة أفقاً جديداً للتفكّر في سكون العالم، وفي السكون أذهانٌ تتألّق، ووجدانٌ يتحرّك. داهمتنا الجائحة في ذُروة انشغالنا بما في الأيدي من منجزات لم تبلغ البشرية مبلغها من قبل. كانت الأمم مَزهوّةً بتسابقها في اجتياز الفضاء والهبوط على الكواكب واكتساب أسباب القوّة، وتتنافس في التصنيع والترويج والاستهلاك بلا حدٍّ، حتى أبصرنا جميعاً تحت الصدمة حدود قدراتنا في مواجهة كائن مجهري لا نبصره؛ عطّل عالَمنا وأوقف حركتنا، وفرض علينا حظر التجوال، وألزَمنا بخوْض مراجعات عميقة في الحال والمآل.

يساعدنا رمضان على تحرِّي المنحةِ الكامنة في جوْف المحنة، فإنّ شهر الصيام يحمل فرصة إصلاح واستقامة، وينطوي زمن الجائحة على فرصة استدراك وترشيد.

ثمّ إنّ رمضان المبارك يشدّ من عضدنا، فوق هذا، بِزادٍ نحتاجه في مواسم الأزمات؛ مثل الطمأنينة، واليقين، واللجوء إلى الله، والصبر والاحتساب، والتكافل والتراحم، والتفكّر والتأمّل، والسعي والمثابرة باستلهام العون من الله تعالى. وفي زمن الجوائح ضغوطٌ وصدماتٌ تعصف ببعض البشر، أو تدفع بهم إلى شفير القنوط وأُتُونِ الجزع، لكنّ من

تربّى في مدرسة رمضان يستلهم العون من الله تعالى مستعيناً بالصبر والصلاة، وقد قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ». إنّ الصيام اختبارٌ للصبر والمُصابرة، ومن أَمارات الفلاح في هذا الاختبار ألاّ يجزع الإنسان في مواجهة الضُرِّ إنْ مسّه شيء من ذلك في زمن الوباء، لا قدّر الله.

وفي رمضان فُسحةُ تحرّرٍ وانعتاقٍ وارتقاءٍ؛ بأنْ يملِكَ الإنسانُ زِمامَ نفسه كي يرقى بها فوق التثاقل الذميم إلى الأرض، وكي ينعتق من غواية الاستهلاك الجامح المشبّعة بألوان الدُّنيا الزائفة. لعلّنا أدركنا في موسم الجائحة أنّ هوَس الحرص على العلامات التجارية والتباهي بالمُشتريات تَبدَّدَ بين عشيّةٍ وضحاها، في لحظة داهمة تعطّلت فيها طقوس الاستهلاك الاستعراضي تحت صدمة الوباء المستشري. اكتشف البشر يومها أولويةَ الوقاية والنجاة، واستولت عليهم الخشية من انقطاع الأنفاس في أروقة الطوارئ المكتظة بالذاهلين. كانت خبرةً عميقة ولا زالت ذيولها حاضرة، وإن غفل كثير من الناس عن عِظاتِها بعد أن اجتازوا لحظة الهلع.

سيبقى موسم كورونا درساً قاسياً في تاريخ البشر؛ انقشعت فيه أوهام الفردوس الأرضي، وفتح عيوننا على عوالم تخالطنا وكائنات دقيقة تجري منّا مجرى الأنفاس دون أن نكترث بها؛ رغم أنّ بعضها مؤهّل - بإذن الله - لأن يُرغِم كبرياءنا، وأن يُقِضَّ مضاجعنا، وأن يعطِّل مدنيّتنا الحديثة .. بعد أن حسب بعضنا أنها بلغت نهاية التاريخ.

إنّ في ذلك لآية .. أن يُعجزنا كائنٌ ضعيفٌ غير مرئيٍّ عن آخِرِنا. والعبرةُ أنّ موسم كورونا كان ولا زال، كتاباً مفتوحاً للبشرية كي تتفكّر في كائناتٍ دقيقة من حولها بما يتجاوز مؤشرات الجائحة النمطية؛ هي عبرة لقوم يتفكّرون في ذرّة، أو في مثقال حبّة من خردل، أو في بعوضة فما فوقها، أو في ذُبابٍ يُعجِز البشرَ رغم ضعفه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۞ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۞ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» [الحج: ٧٣].

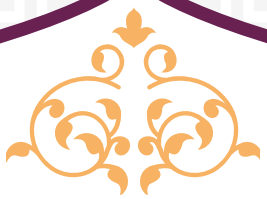

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ـ رضى الله عنـه ـ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم قَـالَ:

قَـالَ اللهُ: كُلُّ عَمَـلِ ابْـنِ آدَمَ لَـهُ إِلاَّ الصِّيَـامَ، فَإِنَّـهُ لِي، وَأَنَـا أَجْـزِي بِـهِ. وَالصِّيَـامُ جُنَّـةٌ، وَإِذَا كَانَ يَـوْمُ صَـوْمِ أَحَدِكُـمْ، فَـلاَ يَرْفُـثْ وَلاَ يَصْخَـبْ، فَـإِنْ سَـابَّهُ أَحَـدٌ، أَوْ قَاتَلَـهُ فَلْيَقُـلْ إِنِّي امْـرُؤٌ صَائِـمٌ. وَالَّـذِي نَفْـسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ لَخُلُـوفُ فَـمِ الصَّائِـمِ أَطْيَـبُ عِنْـدَ اللهِ مِـنْ رِيـحِ الْمِسْـكِ، لِلصَّائِـمِ فَرْحَتَـانِ يَفْرَحُهُمَـا إِذَا أَفْطَـرَ فَـرِحَ، وَإِذَا لَقِـيَ رَبَّـهُ فَـرِحَ بِصَوْمِـهِ.

[رواه البخاري]

09

عن رمضان .. ثلاثة أسئلة

الشيخ الهادي بريك

عضو المجلس الأوروبي للأئمة

السؤال الأول: لماذا أصوم؟

درج الناس - سيما عندما رقّ التديّن عِلْماً - على الاهتمام بسؤال الكيف. أي: كيف أصوم؟ وهو مطلوب، لأنه من فقه الحكم. ولكن لا تتمّ العبادة حتى نُعزِّز ذلك السؤال بسؤال آخر هو له قرين، وهو: لماذا أصوم؟ وبذا يجتمع الحُكْم بحِكْمتِهِ، ويرتقي الصّائم إلى مَصافِّ الذين يحبّهم الله تعالى، إذ قال عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». العالم هو الذي يعلم لماذا يصوم ثم يصوم. أمّا العابد، فهو الذي يصوم ولا يعلم لماذا يصوم.

القرآن الكريم يُجيبُنا: لماذا نصوم؟

ممّا كتب ابن القيّم رحمه الله، أنه أحصى في القرآن الكريم المواضع التي فيها عِللٌ وحِكَمٌ، فلمّا ناهز ألفَ موضِعٍ أَرسَلَ الأمرَ. إذ تبيّن له أنّ هذا الكتاب يعتني بالحُكْم بقدر اعتنائه بحِكْمةِ الحُكْمِ. لماذا نصوم؟ سؤال أجاب عنه القرآن الكريم. إذ قال سبحانه في آيات الصّيام في سورة البقرة: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون». إذ بيّن الذِّكرُ الحكيمُ هنا أنّ المقصود من

الصّيام هو حصول التقوى (لعلّكم تتقون). أصل التقوى هو الاجتناب، كما بيّن ذلك حَبْرُ الأمّة لِسائلٍ عنها، إذ قال له: أرأيتَ لو سلكتَ مسلكاً فيه حطبٌ وشوكٌ؟ ماذا كنتَ فاعلاً؟ قال السّائلُ: أصفن ثوبي اتقاءَ الشوكِ والحطبِ، فقال ترجمان القرآن: كما تتقي الشوك أن يصيبك، اتق اللهَ سبحانه أن يصيبك غضبُه.

من حكم الصوم: الخير

ربّما لم تمتلئ آياتٌ بالحِكَم بمثل ما امتلأت هذه الآيات، إذ بعد بيان أنّ التقوى مقصود من مقصودات الصّيام، أردف ذلك بقوله سبحانه: «وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون». ذلك يعني أنّ الصوم – وهو فَطْمُ النفسِ عن هواها أكلاً وشرباً ولذّةً – يجلب معه إلى الإنسان الصّائم خيراً، ولكن ما هو الخير؟ الخير: قِيمةٌ عامّةٌ مطلقةٌ كليّةٌ تشمل كلّ أنواع الحُسنى مادّةً ومعنًى. عندما يصوم الصّائم فإنه يصيب خيراً، إذ يُعمِّق إيمانه بالغيب بإله لا يراه ولا يسمعهن وبذلك يتميّز عن الدّابّة التي لا تؤمن سوى بالمحسوس الملموس. وعندما

يصوم الصّائم فإنه يملك زمام نفسه، ولا يدعها ترعى كلّ ما تهوى بدون ضابط ولا حارسٍ أن تختلط بالأنعام. ذلك أنّ الدنيا خلقت لنا فتنة وتسخيراً، فإمّا أن نحسن رياضة أنفسنا حيالها، وإمّا أن نكون لها نحن عبيداً مُسخَّرين. الصّومُ عبادة تشحن الإرادة وتغذي مناسيب الصبر، والصّبر يحتاج إليه كلّ إنسان بغض النّظر عن دينه في هذه الحياة، إذ أنّ الصبر مَظِنَّةُ الفوزِ والنجاحِ في الدنيا، أمّا الطيش والهجوم على الشهوات، فهو مظنّة الإخفاق والفشل. الصّوم خيرٌ بدنيّ صَرفٌ، كما أثبت ذلك الأطباءُ الذين ينصحون بعض مرضاهم به. وفي الجملة، فإنّ الغرض هنا ليس إحصاء الخير الذي يثمره الصّيام، إنّما الغرض هو القول بأنّ الصوم خير، ولا يأتي إلّا بخير: طاعةً لله، ورياضةً للنفس، وتعبئةً للصبر، وشَحناً للإرادة، وعافيةً في البدن، وغير ذلك ممّا لا تكاد تحصى أطرافُه. وبذلك فضّل النظم القرآنيُّ البديعُ أن يعبّر عن كلّ ذلك بلفظِ الخير، لتشمل كلّ جوانب الخير، ممّا علمنا وممّا لم نعلم.

لماذا نصوم رمضان ... وليس شعبان؟

هذا سؤال آخر مهمّ، ألم يعلِّمنا القرآن الكريم أنّ السؤال هو طريق العلم ومفتاح الرسوخ فيه؟ وذلك عندما عرض علينا أسئلة عظمى لا تقليدية من لدن إبراهيم عليه السّلام. إذ سأل ربّه قائلا: «ربّ أرني كيف تحيي الموتى» ومثله حفيده موسى عليه السلام، إذ سأل قائلا: «ربّ أرني أنظر إليك». لماذا نصوم رمضان؟ سؤالٌ أجاب عنه القرآن الكريم نفسه كذلك، وذلك في قوله سبحانه: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان». سياق الكلام هو أنّ الله كتب عليكم الصّيام كما كتبه على الذين من قبلكم ليكون في شهر رمضان. وقد عيّنه سبحانه تعييناً ونصّ عليه نصًّا لا يحتمل عدا الإحكام والتفسير. ولم يقصر ذلك على ذلك، إنّما أخبرنا أنّه اختار لنا أن نصوم رمضان بسبب أنّه الشهر الذي أُنزِل فيه القرآن، ومِن ذا حقيق علينا أن نقول إنّنا نصوم رمضان احتفاءً بالقرآن، واحتفالاً بالقرآن، وتعظيماً للقرآن، فهو شهر القرآن بامتياز شديد، وليس هذا اجتهاداً من أحدٍ، ولكنه العلم بالنّصّ القرآنيّ، أي أنّ الله اختار عبادة الصّيام لتكون في الشّهر الذي أَنزَل فيه

كلامَه العظيم وذكره الحكيم. لم يختر له شهراً حراماً، وهي شهور أربعة لم يخترعها الإسلام. إنّما أقرّها، ولكن اختار له الشهر الذي شرّفه الله بنزول ذكره الحكيم فيه، كما ورد ذلك في سورة القدر. ولأجل ذلك سنّ عليه السلام سنّة التهجّد للناس، ولكن لما خاف أن يوجب ذلك على أمّته عدل عنها في المسجد، ولما جاء الخليفة الثاني - أي الفاروق عمر - أحيا تلك السنة وظلّت حيّة إلى اليوم. وستظلّ بإذن الله كذلك إلى يوم القيامة، تعظيماً للقرآن، في الشهر الذي أُنزِل فيه القرآن.

من حكم الصّيام الأخرى

حكم الصّيام ربّما تتأبّى عن الحصر والإحصاء، مِن ذلك، بحسب ما ورد في آيات الصّيام ذاتها، أن يتربّى الإنسان على ثقافة اليسر، وفقه الترفّق بنفسه، وبالنّاس من حوله، من يدرس هذه الآيات لن يجد غيرها مكلَّلةً بقيم اليسر تكليلاً عجيباً، مِن قِيَم اليسر المذكورة هنا قوله: «أيّاما معدودات» أي أنّ الصيام ليس أمراً مرهقاً أو تنكيلاً أو تشفّياً، إنما هي أيامٌ قليلاتٌ مقدور على عدّها. وما قُدِرَ على عدّه فهو قليل، ومن تلك القِيَم كذلك عدم الشقّ على المريض والمسافر ومَنْ

في حُكْمِهما مِن مثلِ حائض ونفساء وغير ذلك. إنّما يؤجَّلُ ذلك حتى تنقضي الطارئة، ومِن تلك القيم كذلك لزوم اليسر لزوماً بحِسبانِه إرادةً إلهيةً ماضيةً «يريد الله بكم اليسر» وأكّد ذلك بنفي ضدّه، إذ قال سبحانه: «ولا يريد بكم العسر»، وهو أمرٌ يشمل الحياة كلّها، وليس الصّيام فحسب. ومن تلك الحِكَم كذلك صلة الناس المحتاجين بالإنفاق، إذ قال سبحانه: «وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مِسكينٍ»، وبذا يرتبط الصّيام الذي يغلب عليه الطّابع الفرديّ بالإنفاق والتكافل، وهي ذات طابع جماعيّ. وبذلك يساهم الصّيام في رصّ الصفّ الواحد رصًّا يشُدُّه ليَغدُوَ ممتنعاً على الهدم والاندثار. وبذلك نرى أنّ المقصد الأسنى من الصّيام: التقوى المذكورة في رأس الآيات. وبما أنّ التقوى - مثل الخير - قيمة عامّة مطلقة كليّة، فإنّها بُيِّنَتْ فيما يلي من الآيات ذاتها لتكون مرّةً يُسراً، ولتكون مرّة أخرى تكافلاً، ولتكون مرّة أخرى تعظيماً للقرآن في شهر القرآن، ولتكون مرّة أخرى عِلماً بأنّ الصيام خيرٌ مطلقٌ عامٌّ، ولتكون مرّة تكبيراً لله وحده سبحانه أنه هو وحده المطاع غيباً، فلا يَستسلم في الأرض للطاغوتِ مُسلمٌ. ولتكون مرّة أخرى، وليست أخيرة، شكراً «لعلّكم

تشكرون». الصيام دورةٌ تكوينيةٌ تعودنا مرّة واحدة في العام، تبتدئ بمطلب التقوى، وتختتم بمطلب الشُّكرانِ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

السؤال الثاني: لماذا نصوم جماعة في زمن واحد؟

أليس جديرا بنا أن نطرح هذا السّؤال؟

لماذا نصوم مجتمعين في زمن واحد؟

إذا كانت عبادةُ الصّيام عبادةً شخصيةً فرديّةً – وهي كذلك في جانب منها – فلماذا نُدعَى إلى ممارستها في شهرٍ واحدٍ محدّدٍ هو شهر رمضان؟ ما ضرّنا لو اختار كلّ واحد منّا الزمن الذي يناسبه صياماً؟ شهراً كاملاً متتابعاً غير مفرّقٍ؟ وليكن لهذا خارج أوقات رحلاته (في محرّم الحرام مثلا وهو شهر حرام) وليكن للآخر مِثلُ ذلك، تختار المرأة مثلا الزمن الذي لا تغشاها فيه حيضتها. وليس معنى ذلك أن يميل الصّائمُ إلى زمن يقصر نهاره تقصّياً. أليس ذلك أولى من أن يتسنّى لهذا الصّيام؟ ولكن الآخر عليه أن يقضي ذلك عدّة، ومثل ذلك على المرأة؟

سؤالٌ مشروعٌ .. وجوابٌ ينشر كِنانةَ الحقِّ نشراً

من يقرأ الكتاب العزيز مرّةً واحدةً، قراءةً جامعةً، هادئةً، متأنّيةً، متريّثةً، متدبّرةً، لا ريب أنّه يفاجأ بأنّ خطابه ظلّ يتوجّه إلى الناس - سيما من المؤمنين - بصيغة الجماعة، إذ خاطب الناس بصفة الإيمان «يا أيها الذين آمنوا» زُهاءَ تسعين مرّة كاملة، وهي جماع الأوامر والنّواهي كلّها تقريباً، وبمثل ذلك خاطب الناس، سِيَما في المرحلة المكية، بزُهاءِ خمسٍ وعشرينَ مرّةً أخرى كاملة، وحتى عندما خاطب الإنسان مرّتين، فإنه يخاطب الإنسان الجنس، وبمثل ذلك خاطب بني آدم في المرحلة المكية خمس مرّات كاملات، أي إنّ مجموع الخطاب بصيغة الجماعة كان زهاء عشرين مرّةً ومائةً كاملةً، الأعجبُ من ذلك كلّه أنّ الخطاب الفرديّ الشخصيّ - كما نعدّه نحن اليوم - لم يَنُدَّ عن ذلك. ذلك أنّ تلك الخطابات فيها الدعوة إلى التقوى التي هي اختيارٌ فرديٌّ شخصيٌّ، وقرارٌ يَنبُع من داخل الإنسان. ألم تسأل نفسك مرّة: كيف أكون تقيًّا مع الناس؟ عبادة الصّيام - كما يعرف كلّ واحد منّا - عبادة يغلب عليها الطّابع الفرديّ الشخصيّ بسبب أنّها عبادة تَرْكِيَّةٌ - بلسان الفقهاء - أي أنّ المطلوب

من الصّائم ليس فعلُ شيءٍ، إنما تركُ شيءٍ. وأنّ الصائم يمكن أن يظهر صائما مع الناس، ولكنه مُفطرٌ عندما يختلي بنفسه، ولا حسيب عليه، ولا رقيب، عدا اللهَ سبحانه. إذا كان ذلك كذلك - وهو كذلك قطعا - فكيف نُدعَى إلى الصيام الجماعيّ في زمنٍ واحدٍ ؟! أليس أولى أن يصوم كلّ واحدٍ منّا شهراً يختاره هو، يكون فيه مُتمحِّضاً لتلك العبادة بالكلية، غير منشغل بسفر أو مرض؟ ومثل ذلك المرأة، آمنةً من غَشَيَانِ الحيضة، أو الرّضاع، أو النفاس؟ هنا نصل إلى محطّة خطيرة مهمة من محطّات طبيعة هذا الدين. هنا نصل إلى النهل من حكمة هذا الدين نهلاً يجعلنا من العابدين العلماء، وليس من العابدين الذين لا يُقيمون وزناً للعلم، هنا نعلم أنّ الله سبحانه عندما دعانا إلى الصيام الجماعيّ في زمن واحد وهو يعلم أنّ فينا من لا يتسنّى له ذلك - كما دعانا إلى التقوى مرّاتٍ وهي عمل يغلب عليه الطّابع الفرديّ الداخليّ - فإنّما يريد أن يغرس فينا غريزة الجماعة، ويحقننا بفطرة التكافل، وجِبِلَّةِ التعاون. رسالته إلينا هنا: هي أنّ المقصود من الصّيام ليس الجانب العمليّ فحسب، أي الكفّ عن الأكل والشرب واللّذة فحسب، وإنّما المقصود هو الكفّ عن شيءٍ آخر كبيرٍ،

وهو الشعور بالفردانية والوحدانية والشخصانية، بما يُفضي إلى تضخّم الذات، والعلوّ، واحتقار الآخر. الأمر نفسه في الصّلاة التي دعانا إليها فرضاً مُوجَباً مرّةً واحدة في الأسبوع، فلا تؤدَّى إلاّ في جماعة، وهي صلاة الجمعة. ولكنّه، رحمةً بنا، دعانا إلى غيرها – صلاة الجماعة ترغيباً، الأمرُ نفسُه في عبادة الزّكاة التي أمرنا فيها بالإنفاق من المحاصيل ذاتها، وبالقدر ذاته، وفي المصارف ذاتها، فلا يُعفَى حتى الفقير الذي يملك النّصاب في هذا المحصول أن ينفق منه، وله أن يأخذ الزّكاة من محصولٍ آخر. والأمر ذاته في عبادة الحجّ.

مِن ذلك – وممّا يضيق هنا الخطاب عنه – نستنبط بيسرٍ أنّ المقصد الأسنى من عبادة الصّوم – أنها عبادةٌ جماعيةٌ في زمن واحد – هو الشعور بالجماعة مِن حولك، فإذا حصل جوع في نهار رمضان نجوع معاً، وإذا حصل شِبَعٌ بعد الغروب نشبع معاً، وإذا كان يومُ عيدٍ بعد انقضاء الصيام نفرح معاً، ونبتسم معاً، وإذا حصل إنفاقٌ لزكاةِ الفِطرِ نُنفق معاً، ونستقبلها معاً، في الصلاة ترى بعينيك المصلين من حولك ومن خلفك، وهذه أَمارةٌ صريحةٌ قاهرةٌ على مراد الله سبحانه في إنفاذ الشعور بالجماعة والأنس بالجماعة. ولكنْ في الصيام لا

يُرى ذلك رأيَ العينِ. ولكن تعلم أنّ المسلمين في هذا اليوم وعلى امتداد شهرٍ كاملٍ يمارسون ما تمارس أنت. وهذا يبعث فيك القوّة والأمن والسلام والعزّة بالجماعة. إذ هي أمةٌ كاملةٌ تقوم بالشعائر ذاتها، لا فرق فيها بين غنيٍّ وفقيرٍ، وحاكمٍ ومحكومٍ، وشرقيٍّ وغربيٍّ، ولا حتى بين ماضٍ وحاضرٍ، ذلك المقصد الأسنى هو من مقاصد الإسلام العظمى، وكما رأينا، يلازم العبادات الشعائرية كلَّها، وهي المعوَّلُ عليها أن تغرس في كلّ أعمالنا القِيَم الإسلامية.

من يصوم وهو يعلم أنّ أمةً كاملةً تصوم بمثل صومه، فهو يشعر بالقوّة، والأمن والعزّة، وأنّ ذلك يزيده ثباتاً على دينه، إذ الثبات على الدين مسؤوليةٌ جماعيةٌ، ألم يقل عليه السلام: «يأتي على الناس زمانٌ يكون فيه القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر» ؟. وعندما تلبس البلاد كلّها حلّة أخرى بمناسبة شهر الصيام فإنّ المرء يشعر بالأُنس والطمأنينة، وأنه ليس غريباً ولا يأتي عجيباً. وقديما قال أهل الاجتماع: الإنسان مَدَنيٌّ بطبعه. ولذلك حرص الصحابة على التحضّر، أي لزوم الحضر، حتى عُدَّ التعرُّب – بمعناه القِيَميّ وليس الجغرافيّ – ذنباً كانوا يَستنْكِفون عنه. ألم يَرِدِ

الخطابُ القرآنيُّ الكريم عن الأعراب بصيغةٍ يغلب عليها السّوء؟. يغلب عليها فحسب، وليس يشملها بالكلية. ذلك أنّهم بتعرُّبهم يحرمون أنفسهم الاستمتاع بالبعد الجماعيّ لهذا الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

السؤال الثالث: لماذا اصطفى سبحانه عبادة الصّيام له؟

هذا سؤالٌ جديدٌ جديرٌ بالطّرح ..

لأيِّ سرٍّ اجتبى سبحانه الصّيام فحسب، ليكون له هو وحده ؟

أصل المسألة هو حديثٌ قدسيٌّ صحيحٌ، أخرجه الشيخان عن أبي هريرة عليه الرضوان، يقول فيه سبحانه: «كلّ عملِ ابنِ آدمَ له، إلاّ الصّوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع الإنسان طعامه وشرابه وشهوته من أجلي!». الحقيقة أنّ الله سبحانه هنا أخبرنا عن السرِّ، وعن الحكمة منه. ذلك أنه قال حكمة «يدع الإنسان طعامه وشرابه وشهوته من أجلي». ذلك هو السّر الذي جعل عبادة الصيّام ترتفع إلى هذه الدّرجة العظمى التي لم يخصّ بها الله سبحانه أيّ عبادة أخرى. إذ لم يرد أنه قال عن أيّ عبادة أخرى أنها له.

أليست كلّ العبادات له وحده سبحانه؟

أجل، ذلك هو الأصل العامّ، ولكنّ تخصيص الصّيام بذلك يعني أنّ عبادة الصّيام هي العبادة الوحيدة التي تغرس الإخلاص في النّفس، غرساً يتأبَّى على الانتزاع، مهما شغب الشيطان شَغَباتِهِ وراودتِ الدنيا بحُطامها الإنسانَ. الإخلاصُ مطلوبٌ في كلّ عبادة، ولكنّ العبادة الوحيدة التي لا يغشاها رياءٌ أبداً مطلقا هي عبادة الصّوم، إذ كيف يعقل أنّ إنسانا يصوم لأجل الناس؟ من يصوم لأجل الناس سيفطر في أوّل فرصة يختبئ فيها عنهم أو يغيبون عنه. ومِن ذا، فإنّ الصيام هو العبادة الوحيدة التي تجعل المرء الصائمَ لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يستمتعُ بما أحلّ الله له وهو يعلم ألاّ رقيب عليه عدا ربّه وحده سبحانه. ذلك يعلّمنا أنّ الله يحبّ منّا الإخلاص حبًّا لا مثيل له، وذلك يعلّمنا أنّ الله سبحانه لا يطلب منّا أن نبخع أنفسنا أو نقتلها رهقاً لأجل هداية الناس أو عمارة الأرض، لأنّ ذلك متعذّر بالكلية. ودونه الذي دونه. ولكنّه يريد منّا إخلاصاً فيما نقول، ونعتقد، ونفعل، ونعمل، ونأتي، وندع. على نحو تكون حياتنا خالصة له هو وحده سبحانه، ذلك هو معنى أنه اجتبى سبحانه العبادة التي لا يداخلها

الرّياء أبداً مطلقاً لتكون له هو وحده سبحانه. وهو الذي يجزي عليها ثواباً لا يتصوّره عقلٌ، إذ لولا أنّ تلك العبادة هي التي تحصّن الإنسان من غوائل الشرك والرّياء وصرف أيّ جزء من الحياة لغير الله سبحانه، لما قدّمها ذلك التقديم الذي يجعل المرء سائلاً عن ذلك السرّ. ومن علامات ذلك، أنّ الحديث قُدْسِيٌّ. بل إنه متفق عليه بين الشيخين. ورواه أبو هريرة عليهم جميعاً الرّحمة والرّضوان. كلّ عمل ابن آدم له، لا تعني أنّ الشرك يمكن أن يداخل بقية الأعمال والأقوال والعبادات بلا حرج، كلاّ، ولكنّ ذلك يعني أنّ بقية العبادات يغشاها الشرك الأصغر، أي الرّياء. وقد فصّل ذلك حجة الإسلام الغزاليّ في سِفْرِهِ الفريد: (إحياء علوم الدين) إذ بيّن أنّ الرّياء المنكور هو الذي يكون ضربة البداية في كلّ عمل، أي تكون الطُّويّةُ منذ البداية متمحِّضةً لغير الله سبحانه، أمّا ما يشغب على العامل من بعد ذلك – أي من بعد إفراد العبادة لتكون لله وحده خالصة نيّة معزّرة – فلا عبرة به، إذ لا يكاد يَسلمُ منه بشرٌ عدا المعصومين عليهم السّلام جميعا من الأنبياء والمرسلين. إذ يصلّي المصلّي وقد يغشاه الشيطان ليُحسِّن صلاته بحضرة الناس، أو يحسّن قراءته إذا كان إماما.

أو قد ينفق ويغشاه الشيطان ليجعل منه مرائيا. وغير ذلك من شَغَباتِ الشيطان ومراودات النفس وشهوات الدنيا. إلاّ الصيام، فلا سبيل لأيّ رياء أو شرك أصغر عليه، بسبب أنّه عبادة قلبية، باطنية، داخلية، سرّية. أي تَرْكِيّةٌ خالصةٌ. ويمكن لكلّ صائمٍ إن شاء رياءً أن يختفي عن أعين الناس ليأكل أو يشرب، ثم يخرج للناس وهو معهم صائم مثل صومهم. ولا ينكر عليه أحد، لأنه لم يره أحد. ذلك هو المعنى المهمّ المقصود من اصطفاء الله سبحانه لعبادة الصّيام دون سواها له وحده سبحانه. وذلك يعلّمنا قيمة الإخلاص الذي نحتاجه في حياتنا الخاصّة والعامّة كلّها.

أيّ حاجة لقيمة الإخلاص؟

الإخلاص في الحياة إخلاصان: إخلاص الاعتقاد، الذي بدونه يغدو المرء مشركاً، وذلك هو الأمر الذي وقع فيه المشركون الذين قالوا تبريراً مُسِفًّا لشِركِهم: «ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زُلفَى». وذلك هو الخيط الرّفيع الدّقيق بين الإيمان الصّافي من كلّ شائبةِ شركٍ مهما دقّت وضعفت ورقّت، وبين الإيمان المشرك الذي قال فيه سبحانه في آية مخيفة: «وما

يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون»، ذلك الإخلاص الأوّل الأعظم، وهو المطلوب الأوّل، إنّما يتغذى من العمل. إذ أنّ من وظائف العبادات والعمل: تزكية الاعتقادات، وتغذيتها، وتمتينها، وترسيخها، ومِن ذا كان الإخلاص الثاني هو: إخلاص العمل الذي قال فيه سبحانه في آخر سورة الكهف المكية: «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً». إخلاص العمل مطلوب، وهو قرين إخلاص الاعتقاد، وهما في الحقيقة لا ينفصلان. عدا أنّ إخلاص الاعتقاد ليس فيه أيّ رخصة، لأنّ من لم يُخلِص اعتقاده فهو مشرك بربّه سبحانه، ولا يُقبَل منه صرفٌ ولا عدلٌ كما يقولون، وإخلاص العمل لا يَخلُصُ لأيّ بشرٍ بالكلية ومطلقا، وفي كلّ زمنٍ، وكلّ عبادةٍ، وكلّ مكانٍ، وكلّ حالٍ. ولكن المقاربة والتسديد مطلوبان، وفيصل الأمر هنا هو النيّة الأولى، والطّوية الباعثة، فإن خَلُصَتْ، فقد خَلُصَ العملُ لله وحده سبحانه، حتى لو شابه الذي شابه من بعد ذلك. وتظلّ المعركة بين العابد العامل وبين شيطانه ونفسه قائمةً لا تفترُ. ولو فترت لأُحيل الإنسانُ إلى قائمة الذين خرجوا من دائرة الابتلاء والعياذ بالله.

الإنسان يحتاج إلى الإخلاصين معا، إخلاص الاعتقاد حتى تستوي شخصيتُه استواءً يجعله مستقلاً عن الناس، فهو يشترك معهم في الحياة، ولكنّه لا يعتمد على أحدٍ منهم، وليس هو عالةً على أيّ واحد منهم، فلا يحتاج إلى مُنافقتهم أو الاستضعاف بين أيديهم. ومَن تكون كذا شخصيته فإنه يكون إنساناً سويًّا، عاملاً فاعلاً إيجابيًّا. لا إمّعةً، أو عالةً أو ذيلا من الذيول الكثيرة. كما يحتاج المرء إلى إخلاص العمل للغرض نفسه، ولكن لغرض آخر، هو تجويد العمل، وإتقانه، وتحسينه، والتفرّغ لربّه وحده سبحانه. فمن تمحّض لأيّ عمل، فهو أدنى إلى تجويده وتحسينه، وتجميله وإتقانه، ومن كان عمله متردّدا بين هذا وذاك، فهو خِدَاجٌ، كما تقول العرب، أي مولودٌ قبل أَوَانِ ميلاده.

الإخلاصان إذن (إخلاص الاعتقاد وإخلاص العمل) لهما منافع دنيوية، ومصالح عاجلة، وبناءً على ذلك، تترتب الأَجْزِيَةُ الأُخرَوِيّةُ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

10
فتاوى رمضانية

د. خالد حنفي

عضو هيئة أمناء المجلس الأوروبي للأئمة

هل يجوز الفطر لمجرد الخوف من تعب الصيام زمنَ كورونا ؟

السؤال: هل يمكن أن يكون قرار الصيام اختياريًّا هذا العام في ظل تفشي الكورونا ؟ بمعني: من يخشى على نفسه التعب، مجرد الخوف، أو القلق، يمكنه الإفطار وتعويض ذلك ؟ وبأي طريقةٍ يمكن التعويض ؟ وهل عليه إفطار صائم ككفارة ؟

الجواب: فرض الله تعالى صيام شهر رمضان على كل مسلمٍ صحيحٍ مقيمٍ، فقال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: ١٨٥]، وقررت السنّة النبويّة أن الصيامَ رُكنٌ من أركان الإسلام، وذلك في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» متفق عليه. والأصل

أن يصوم كل مسلم شهر رمضان كاملاً، رجلاً كان أو امرأةً، باستثناء من رخّص لهم الشرع في الفطر، كالمريض والمسافر ومن يقاس عليهما، ولا يجوز الفطر بمجرد الخوف أو حصول القلق، خاصة أنه قد ثبت علميًّا - بالرجوع إلى الأطباء المختصين - أنه لا علاقة بين الصيام وبين الإصابة بفيروس كورونا، بل ثبت بالبحوث الطبيّة الموثَّقة القائمة على التجربة والرصد أن الصيام يُقوِّي المناعة، وقد رفض الدكتور يوهان غيساكي، البروفيسور بمعهد كارولينسكا بالسويد، والمختص في الأمراض المعدية وعلم الأوبئة، المعلومةَ المنتشرةَ على مواقع التواصل الاجتماعي، من أن جفاف الحلق يُعرِّض صاحبه للإصابة بكورونا، وهو ما يتعارض مع الصيام، وقال غيساكي: إن العكس هو الصحيح؛ لأن الرطوبة هي التي توفّر البيئة المناسبة لاحتضان الأغشية المخاطية لفيروس كورونا، وأن خطر انتقال العدوى ينخفض عند الصوم.

والمسلم لا اختيار له في التكليفات الشرعية إذا كان قادرًا عليها، بل من مقاصد تلك التكليفات تحريرُ المسلمِ من أهوائه واختياراته، كما قال الإمام الشاطبي في الموافقات: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراجُ المكلَّف عن

داعية هواه؛ حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبدٌ الله اضطراراً».

وأحكام الشرع لا تُناطُ بما لا ينضبط، كالخوف أو القلق، وإنما تُناط بما ينضبط، لهذا رخّص الشرع في الفطر للمسافر المعلومِ سفرُه بمدّةٍ محددةٍ يُعدُّ قاطعُها مسافراً شرعاً، سواء وقعت له المشقة بالسفر أو لم تقع؛ لأن المشقة لا تنضبط، والسفر منضبط. ولا يجوز للمسلم أن يُفطر دون رخصة شرعية، كما يَحرُمُ على من رُخِّص له في الفطر أن يصوم، كالمريض الذي يضره الصوم بقول الطبيب، لأنه يُلقي بنفسه إلى التَّهْلُكَةِ.

والله أعلم.

العمل مع تعدد الإمساكيات واختلاف المواقيت في أوروبا

السؤال: يعاني مسلمو أوروبا من اختلاف مواقيت الصلاة بحسب المذاهب والاجتهادات الفقهية، خصوصا المغرب والفجر في رمضان، فكيف يمكن حساب ذلك؟

الجواب: الاختلاف في طريقة حساب مواقيت الصلاة في أوروبا لا يرجع إلى اختلاف المذاهب فقط، وإنما يرجع إلى وجود فترة في العام تضطرب، أو تنعدم فيها العلامات الشرعية لأوقات الصلاة، وقد توجد العلامات، ويقع الحرج بسبب تأخر وقت العشاء، وقرب وقت الفجر منه، ومع غياب هذه العلامات تأتي الاجتهادات ويقع الاختلاف، ومن أسباب تعدد المواقيت كذلك غياب السلطة الملزِمة للمسلمين في أوروبا، فتتجه كل مؤسسة، وكل تجمع للمسلمين إلى اختيارٍ فقهيٍّ وطريقةٍ للحساب تختلف عن غيرها، ومن الأسباب، عدم واقعية كثير من الحلول الفقهية والفلكية التي قُدِّمَت من اللجان المختلفة في السنوات الماضية.

وليس هناك اختلاف في وقت المغرب، حيث تتفق كل طرق الحساب على دخوله في لحظة واحدة، وإنما الخلاف

في وقت الفجر، والاختلاف في طريقة حساب وقت الفجر موجودٌ حتى في العالم العربي والإسلامي، لكنه لا يظهر لوجود السلطة التي تُلزم الناس باختيار مؤسستها الدينية.

وقد شكَّل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث لجنةً فقهيّةً فلكيةً بالتنسيق والتعاون مع رئاسة الشؤون الدينية التركية، وعددٍ من الهيئات والمراكز الإسلامية في أوروبا، للعمل على إخراج تقويمٍ موحَّدٍ يمنع، أو يُقلِّل من هذا الاختلاف، وقد قامت اللجنة بعملِ رصْدٍ فلكيٍّ لوقت العشاء والفجر في أماكن مختلفة، وسيخرج مشروع التقويم الموحَّد قريبًا بحول الله.

وعليه، فالأصل أن يتّبع كل مسلم المسجدَ الذي يصلي فيه عادةً، فإن لم يكن له مسجد اختار طريقة حساب الفجر الأيسر عليه، وعلى المراكز والمؤسسات الإسلامية أن تبذل جهدها للتنسيق والتعاون لمنع الخلاف أو تقليله على الأقل في المدينة الواحدة، وأيسر طريقة لحساب وقت الفجر والعشاء هي طريقة «مؤسسة الديتيب» التابعة للشؤون الدينية التركية، وقريب منها طريقة اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، حيث تعتمد الدرجة ١٢.

وترجيح هذه الطريقة في الإمساك والصوم لثلاثة أسباب:

- الأول: أنه ما قررته الندوات التي عقدت لبحث الموضوع، كندوة لجنة الفتوى بألمانيا «حساب مواقيت الصلاة في ألمانيا ومدى إمكانية توحيد درجتها الحسابية»، والتي عُقدت في الثاني عشر من شهر مارس للعام ٢٠١٦م، ومما جاء في توصياتها: «مسألة مواقيت الصلاة قابلة للاجتهاد، وفيها سَعَةٌ فقهيّةٌ تستوعب جميع الاجتهادات والدرجات المعمول بها في الوقت الحاضر بين الدرجة ١٢ والدرجة ١٩ وما قاربهما، مع رعاية خطوط العرض والأيام التي تنعدم، أو تضطرب فيها العلامات الشرعية، وهو ما أكدته الندوة التي عقدت بالمركز الإسلامي في آخن ٢٠١٨ م، كما أوصت لجنة المواقيت في اجتماعها بمدينة ستراسبورغ (Strasbourg) في يوليو (تموز) ٢٠١٩م المراكز والمؤسسات الإسلامية في أوروبا باستمرار العمل بالنظم والمواقيت القائمة، وعدم إنكار جهة على أخرى حتى يصدر التقويم الموحد قريبا بحول الله.
- الثاني: أنه أيسر على الناس، حيث يُوسِّع عليهم الليل، ويقصّر عليهم النهار، خاصة حين يأتي شهر رمضان في فترات اضطراب (أو غياب) علامات الفجر والعشاء وطول

النهار وقصر الليل.

- الثالث: أن النصوص الشرعية، والنقول الفقهية، والدلالات اللغوية، تؤكد على مرونة وقت الفجر، وعدم القطعية أو الحدّية فيه، كمعنى التبين في آية الصيام، ومعاني: الفجر، والصبح، والإسفار، والغلس، لغة تدل على المرونة، لأنها تعود إلى نسبة الضوء قوةً وظهوراً وانتشاراً، وكذلك تأخير النبي صلى الله عليه وسلم للسّحور وصلاته الصبح بعده، وفعل الصحابة حيث أخروا السحور حتى تيقنوا من طلوع الفجر. والله أعلم.

حول تعدد الجمعة أو العيد في المسجد الواحد

لصلاة الجمعة منزلة عظيمة في الإسلام، وتتعدّدُ مقاصدُها بين الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، وتتأكّد هذه المقاصد بحق مسلمي أوروبا، فتُعتبر صلاة الجمعة من أهم العبادات الموصلة لحفظ الدين والهوية، وتشكيل الوعي الثقافي للمسلم الأوروبي، بما يؤهله للقيام بدوره في المجتمع، والحفاظ على هويته ودينه.

وقد ورد وَعيدٌ على تركها تهاوناً، كما في الحديث الذي رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي بسند صحيح، عن أبي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ».

والأصل عدم جواز تعدُّدِ الجمعة في المدينة الواحدة، لما في ذلك من الإخلال بمعنى الاجتماع والوحدة، وقد جوّز جمهور الفقهاء المعاصرين تعدُّدَ الجمعة في المدينة الواحدة لحاجة الناس، وتعذُّر اجتماع أهل الحي فضلاً عن المدينة في مسجد واحد، بالإضافة إلى تباعد المسافات، وتَعذُّر وصول الناس إلى المسجد الواحد، وهذا الحال يتأكد ويتضح بحق مسلمي أوروبا، حيث تضيق المساجد بهم مهما كثرت، وتقتضي

طبيعة الأماكن وتجمعات الناس ونظم المدن والمساجد أن تتعدد الجمعة في المدينة الواحدة، بل وتتعدد الجمعة والعيد في المسجد الواحد أحياناً أربع مرات في اليوم الواحد، وهذا أمر مفرح ومبهج، ونسأل الله أن يبارك في المصلين، وأن يجعلهم في ازدياد لا نقصان.

والذي نرجحه: جواز تعدد الجمعة في المسجد الواحد في أوروبا إذا دعت لذلك حاجة، كزيادة عدد المصلين عما يستوعبه المسجد، أو الحاجة إلى تمكين النساء من صلاة الجمعة، أو الالتزام القانوني بعددٍ محددٍ من المصلين في المسجد، أو تمكين شرائح كبيرة من الناس من صلاة الجمعة لظروف دراستهم أو عملهم، ويتأكد جواز التعدد مع جائحة كورونا ووجوب الالتزام بالشروط الصحية، من التباعد، وقَصْر عدد المصلين في المساجد على حسب مساحة المسجد ونِسب المصابين في المدينة، مما يحتم تعدد الجمعة والعيد في المسجد الواحد بدلاً من تعطيلها بالكلية، وذلك لما يلي:

١. القياس على تعدد الجمعة في المدينة الواحدة بسبب الحاجة وكثرة الناس، فلو منعنا تعدد الجمع في المسجد الواحد مع وجود الحاجة، منعناه في المدينة الواحدة،

وهو ما لم يقل به أحد.

٢. أن تَرْكَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لتكرير الجمعة في المسجد الواحد لا يصح الاحتجاج، به لعدم وجود سببه، حيث لم تكن هناك حاجة لذلك، والترك النبويُّ المجرد لا يدل إلا على مشروعية الترك على الراجح من أقوال الأصوليين.

٣. القول بعدم جواز تعدد الجمع في المسجد الواحد مع وجود الحاجة يُفوِّتُ الكثير من المصالح المعتبرة، وفي مقدمتها مصلحة حفظ الدين، كما يُخِلُّ بمقصد الاجتماع، وتفويت الجمعة على كثير من المسلمين.

٤. ثبت أن عليًّا رضي الله عنه كان يخرج يوم العيد إلى المصلَّى ويستخلف على ضَعَفَةِ الناس أبا مسعودٍ البدري فيصلي بهم، وتقاس الجمعة على العيد بجامع الاجتماع وسماع الموعظة.

٥. رَوى أبو هريرة أنّه كتب إلى عُمَرَ يسألُهُ عن الجمعة بالبحرَينِ، وكان عامِلَهُ عليها، فكتب إليه عمرُ: جَمِّعُوا حَيثُ كنتم. قال أَحْمَدُ: إسْنَادٌ جَيِّدٌ. ويفهم منه أن الجمعة تصح في كلِّ مكانٍ اجتمع فيه الناس.

وأؤكد على أنّ تعدُّد الجمعة في المسجد الواحد لا يجوز إلا مع وجود الحاجة، ويجب ألا يُتوسع فيه، وأن يُمنع متى انتفت الحاجة، بأن قلَّ العدد، أو وُسّع المسجد أو، بُني مسجدٌ جديد، أو ارتفعت الجائحة.

وأما قيام إمامٍ واحدٍ بالخطبتين والصلاتين، فهو مشروع وصحيح، وهو ما يعرف عند الفقهاء بإمامة المتنفِّل للمفترض، وقد سُئِلَ ابنُ تيميّة عن: «رجلٍ صلَّى مع الْإمام، ثُمَّ حضرَ جماعَةً أُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ إمَامًا، فَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ؟ أَمْ لا؟ الْجَوَابُ: هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ هِيَ مَسْأَلَةُ اقْتِدَاءِ الْمُفْتَرِضِ بِالْمُتَنَفِّلِ، فَإِنَّ الْإِمَامَ كَانَ قَدْ أَدَّى فَرْضَهُ، فَإِذَا صَلَّى بِغَيْرِهِ إمَامًا فَهَذَا جَائِزٌ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ. وَفِيهَا قَوْلٌ ثَالِثٌ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ: أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْحَاجَةِ وَلَا يَجُوزُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِمَامُ هُوَ الْقَارِئ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِمَامَةِ دُونَهُمْ، فَفِعْلُ ذَلِكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ حَسَنٌ».

واستدل الشافعية ومن وافقهم بحديثُ جَابِرٍ: «كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْعِشَاءَ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ إلَى قَوْمِهِ فَيُصَلِّيهَا بِهِمْ، هِيَ لَهُ تَطَوُّعٌ، وَلَهُمْ مَكْتُوبَةٌ».

ورغم ذلك، فإن توفّرَ مَن يقوم بالجمعة الثانية غيرَ الأول

فهو أفضل، خروجاً من الخلاف، وجمعاً للكلمة، ورعايةً لمن يُقلِّد غيرَ مذهب الشافعية. والله تعالى أعلم.

أهم أحكام زكاة الفطر للمسلمين في الغرب

ما حكمها وعلى من تجب؟

زكاة الفطر فرضٌ، وتجب على الصَّغير والكبير، والذَّكَر والأنثى، ولا تجب عن الحمل الذي في بطن أمه، إلاَّ أن يُتَطوَّع بها، فلا بأس، ويجب إخراجُها عن نفسه، وكذلك عمَّن تلزَمُه مَؤُونَتُهُ مِن زوجةٍ أو قريبٍ، ويدفعُ الرجلُ عن زوجته غير المسلمة.

حِكْمتها: مواساةُ الفقراء وإغناؤهم في يوم العيد، وتطهير الصيام من الرفث واللغو.

وقتها: جَوَّزَ الشافعيُّ إخراجَها من أول رمضان، وأبو حنيفة من أول العام، وعلى مسلمي أوروبا التعجيل بإخراجها من أول رمضان، لتتمكن المؤسسات من إيصالها لمستحقيها في وقتها. وقد جاء في قرار المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث (قرار ٤/ ٢٣): «تحقيقاً للمصلحة، فإن المجلس يحث على تعجيل دفع زكاة الفطر ابتداءً من أول شهر رمضان، وبخاصةٍ إذا كانت تُنقَلُ خارج بلدِ المُزكِّي». وينتهي وقتها بصلاة العيد.

هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقودًا ؟

يجوز إخراجها نقوداً، وهو الأرجح لمسلمي أوروبا، لكونه الأيسر عليهم، والأنفع للفقير، والأسرع في نقلها لأهلها خارج أوروبا لمن يقوم بإرسالها خارجها، والأنسب لصورة الإسلام الحضارية العالمية.

وإلى جواز دفع القيمة ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة المذاهب، حكاه التابعيُّ أبو إسحاق السبيعي عمن أدركهم، وفيهم علي بن أبي طالب، والبراء بن عازب وغيرهما، كما أنه قول الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، والخليفة عمر بن عبد العزيز، ومذهب أبي حنيفة، وسفيان الثوري، والإمام البخاري، وعلى ذلك أدلة كثيرة، وهو ما رجحه المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في قراره: ٢٣/ ٤.

لماذا يقع الاختلاف في تقديرها؟

بالفعل يختلف تقدير الحد الأدنى لزكاة الفطر من بلد إلى بلد، بل يقع الاختلاف في تقدير قيمتها داخل البلد الواحد، والسبب يرجع إلى عدم وجود التنسيق الكافي بين المؤسسات والهيئات الإفتائية على الساحة الأوروبية، وتعدد المذاهب

الفقهية داخل كل قطر أوروبي، واختلاف الظروف المعيشية والدخول والأسعار من بلد إلى بلد، وعلى المسلم أن يتبع المسجد والهيئة الدينية في بلده أو إمامه الذي يستفتيه عادة.

التوكيل فيها: يجوز للمسلم الأوربي أن يُوكِّل غيره في بلد آخر بإخراجها عنه، سواء كان فرداً أو مؤسسة، على أن تُخرجَ في وقتها، وبقيمتها في بلد المزكِّي.

نقلها خارج بلد المُزكِّي: الأصل عدم نقلها، وسدُّ حاجات الفقراء والمحتاجين إليها في بلد المزكِّي، وهو ما عليه جمهور الفقهاء، إلا إذا كانت هناك حاجة، أو عُدم الفقراء في بلد المزكِّي، فيجوز نقلها.

وقد جَوَّزَ الإمام أبو حنيفة دفعها لغير المسلم إن كان فقيراً.

تمويل المراكز الإسلامية في الغرب من زكاة الفطر

السؤال: تقوم المراكز والمؤسسات الإسلامية في الغرب بجمع زكاة الفطر كل عام، ومع قلة من ينطبق عليهم وصف الفقر والمسكنة في أوروبا، يتجه كثير من الناس إلى تحويل زكاتهم إلى بلدانهم الأصلية، أو إلى بلد أكثر فقراً، وتواجه المراكز الإسلامية في أوروبا أزمةً ماليّةً كبرى تهدد وجودها

بعد جائحة كورونا، فهل يجوز للمراكز الإسلامية في الغرب تمويل أنشطتها من زكاة الفطر؟

الجواب: لم يقل بقصر صرف زكاة الفطر على الفقراء والمساكين دون غيرهم سوى المالكية، ورواية عن أحمد، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، وتُعطَى لهم توسعةً عليهم في يوم العيد، فإنْ عُدم الفقراء في بلد المزكِّي نقلها إلى أقرب بلد، وهذا القول هو الراجح المحقِّق للمقصود من زكاة الفطر، وهو إغناء الفقراء في يوم العيد.

وذهب جمهور الفقهاء إلى جواز قسمتِها على الأصناف الثمانية التي تُصرَفُ فيها زكاة المال، بينما ذهب ابن حزم، والشافعي في المشهور من مذهبه إلى وجوب صرف زكاة الفطر إلى الأصناف الذين تُصرف إليهم زكاة المال.

والذي أُرجحه في ظل جائحة كورونا، والحاجة المُلحّة للمراكز الإسلامية في الغرب: هو جواز تمويلها من زكاة الفطر، وذلك بعد سدِّ احتياجات الفقراء في بلد المُزكِّين، وذلك لما يلي:

- أولاً: الأصلُ عدم جواز نقل الزكاة من بلد المزكِّي إلا إذا عُدمت المصارف، وكانت هناك حاجة معتبرة لنقلها خارج

بلد المزكي، لقوله صلى الله عليه وسلم: «تُؤخذ من أغنيائهم فتُرد على فقرائهم».

❁ ثانياً: حاجة المراكز الإسلامية في الغرب للدعم والتمويل خاصة بعد جائحة كورونا، وعدم وجود مصادر مالية ثابتة لها مما يهدد وجودها ويعيق أنشطتها، وهي داخلة في مصارف: في سبيل الله، والمؤلفة قلوبهم، والغارمين، وابن السبيل، والعاملين عليها.

❁ ثالثاً: رأي الجمهور القائل بالجواز، والشافعي القائل بالوجوب صحيحٌ معتبر، والعمل به متجّه ما دعت إليه الحاجة، وتحققت معه المصلحة وهذا واقع ومتوقع.

رابعاً: هذه الفتوى لا تعارض المقصد الأصلي من زكاة الفطر، وهو سد حاجة الفقراء في يوم العيد، لأن تمويل المراكز لن يتم إلا بعد إغناء الفقراء إن وُجدوا.

❁ خامساً: الاختيارات الفقهية في الغرب يجب أن تدعم توطين الإسلام في أوروبا، وتقوية المؤسسات، وحمايتها من

الانهيار والتوقف، وتحقيق المواطنة الصالحة، وهو ما تسنده هذه الفتوى.

❁ سادساً: طبيعة النظام الاجتماعي للدولة يحقق الحد الأدنى من الكفاية المعيشية لكل من يقيم إقامة قانونية صحيحة، وهو ما يقلل من نسبة الفقراء والمحتاجين لزكاة الفطر في الغرب.

والله أعلم.

ما هو نص تحريم الصيام للمرأة أيام الحيض؟ وهل لو صامت المرأة في تلك الأيام عليها وزر؟

الجواب: يحرُم على المرأة الحائض أن تصوم، فإن صامت أَثِمَتْ بصومها ووجب عليها القضاء بعد رمضان، ومنعُ المرأة الحائض والنفساء من الصيام من الأحكام المستقرة المعلومة في الأمة، لهذا كان مجرد طرح السؤال في العهد النبوي يوجب اتهام السائل، كما في حديث معاذة بنت عبد الله العدويَّة قالت: سألتُ عائشة رضي الله عنها فقلتُ: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أَحَرُورِيَّةٌ أنتِ؟ أي: هل أنتِ من الخوارج؟! قلت: لستُ بحرورية،

ولكني أسأُل...» متفق عليه.

وقد انعقد الإجماع القولي والعملي على تحريم صوم الحائض من لَدُنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، والإجماع الصحيح المعتبر ثالث الأدلة المتفق عليها بين العلماء، قال النووي في شرح المهذب: «أجمعت الأمة على تحريم الصوم على الحائض والنفساء، وعلى أنه لا يصح صومها، ويُستدَلُّ من السنة على تحريم صومها بحديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال»: أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تَصمْ ؟ فذلك نقصان دينها» صحيح البخاري.

وأما استدلال بعض العلماء بحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «لقد كنا نحيض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة». [رواه مسلم] ففيه نظر؛ لأن المريض والمسافر يقع الصوم منهما صحيحاً إذا صاما، رغم وجود رخصة في الفطر.

وما قيل من أن سبب منع الحائض من الصوم هو رعاية حالها وضعفها وعدم قدرتها على الصوم، فلا يصلح أن يكون سببا ولا علة يُبنى عليها الحكم، كما أن الصوم لا يشترط له الطهارة فيصح الصوم من الجنب، فالصحيح أن عدم صوم

الحائض من الأحكام التعبدية كما قال الإمام الشافعي: «وكون الصوم لا يصح منها لا يُدرك معناه؛ لأن الطهارة ليست مشروطةً فيه».

والقول بصحة صيام الحائض لا يَصدر عن فقيهٍ أو عالم؛ لأن من يصحح صيام الحائض يتعين عليه أن يُجريَ عليها أحكام الطاهرات كلها، فيُصحِّح صلاتها وعلاقتها الخاصة بزوجها، فهل يقول بذلك أحد؟! كما أن القول بصيام الحائض يُفضي إلى عدم انضباط الحكم ووقوع الفوضى فيه؛ لأنه سيترك أمر الصوم إلى قرار كل امرأة بنفسها حسب قدرتها على الصوم أثناء الحيض أو عجزها، أو قدرتها في بعض الأيام وعجزها في غيرها، والأحكام الشرعية لا تُناطُ إلا بالأوصاف الظاهرة المنضبطة التي تنطبق على كل الناس في سائر العصور والأزمنة.

والهدف الخفي من وراء تلك الدعاوى التي ظهرت الآن بصيام الحائض هو الطعن في السنة النبوية، وردُّ الناس مباشرة إلى القرآن، فإذا عادوا إلى القرآن وجدوا أنفسهم عاجزين عن تطبيق الأحكام لإجمالها وعدم بيانها، فيقع الفراغ وتنطلق الآراء والأفكار التي تنتهي بدورها إلى إبطال الأحكام

الشرعية كلها لعدم مناسبتها للعصر وتطوراته، فعلى عموم المسلمين أن لا يلتفتوا إلى هذه الأقوال الشاذة، وأن يأخذوا دينهم عن أهل الاختصاص الشرعي. والله أعلم.

حكم قراءة الحائض للقرآن

السؤال: كثُر النقاش والجدل حول قراءة الحائض للقرآن سواء من المصحف أو الهاتف أو من حفظها، فماذا تفعل المسلمة أمام هذه الاختلافات ؟

الجواب: تُمنع المرأة الحائض باتفاق الفقهاء من أربعة أشياء: الصلاة، والصوم، والطواف، والجِماع، وأما قراءة القرآن فأُرجِّح الجواز، وهو مذهب الإمام مالك، ورواية عن الإمام أحمد، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ورجّحه الإمام الشوكاني، ومن المعاصرين الإمام القرضاوي، سواء كانت القراءة من حفظها، أو من الهاتف وما شابهه من الوسائل الالكترونية، أو من المصحف المترجم؛ لأنه لا يأخذ أحكام المصحف الورقي المعروف، ولا يسمى قرآناً، وأما المصحف المعروف الذي لا يشتمل على شيء سوى القرآن

فأُرجِّح جواز القراءة منه للحائض مع عدم مسه إلا بحائل؛ تعظيماً لكلام الله تعالى.

والدليل على جواز قراءة القرآن للمرأة الحائض ما يلي:

١. النصوص العامة الآمرة بتلاوة القرآن كقوله تعالى: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: «وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» [النمل: ٩٢]، وقوله: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» [المزمل: ٢٠]، ولم تُخصّص بدليل صحيح؛ فكل ما ورد في منع الحائض من تلاوة القرآن ضعيف سنداً ومتناً.

٢. قول النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضي الله عنها لما حاضت في حجة الوداع: «افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» البخاري، فلم يمنعها إلا من الطواف، ولو كانت تلاوتها للقرآن مُحرّمةً لبيّنها؛ فإن الحاجّ يشغل وقته بتلاوة القرآن، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

٣. سُئل سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو من كبار فقهاء الصحابة، «أيقرأ الجنب القرآن؟ قال: نعم، إن شاء، قلت: والحائض والنفساء؟ قال: نعم، لا يَدَعَنَّ

أحدٌ ذكر الله، وتلاوة كتابه على حال، قلت: فإن الناس يكرهونه، قال: من كرهه فإنما كرهه تنزهًا، ومن نهى عنه فإنما يقول بغير علم، ما نهى رسول الله عن شيءٍ من ذلك».

٤. قياس الحائض على الجنب في المنع من قراءة القرآن لا يصح؛ لأن الحائض لا اختيار لها في حيضتها، أما الجنب فيمكنه رفع الجنابة بالاغتسال في أي وقت، كما أن الحيضة قد تطول بخلاف الجنب.

٥. القول بمنع الحائض من تلاوة القرآن يُفوِّتُ عليها خيراً عظيماً وأجراً كبيراً، ويعرّضها لنسيان القرآن، واعتياد هجره، ويُضيِّع على المرأة شطراً كبيراً من عُمرها تُحرم فيه من أنورا القرآن دون دليل معتبر.

والله أعلم

مع إغلاق المساجد بسبب كورونا، طرح سؤال عن حكم الاعتكاف في البيوت؟

الجواب: لا يجوز الاعتكاف في البيوت، سواء في ذلك المرأة أو الرجل، ولا يصح الاعتكاف إلا في المسجد، ومع عدم إمكانية الاعتكاف في المساجد بسبب كورونا فإن من

كانت له عادة، أو نية الاعتكاف يُحصِّل الأجر عليه كاملاً بنيته، فعن أبي موسى رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا» رواه البخاري.

والدليل على ترجيح عدم صحة الاعتكاف في البيوت ما يلي:

١. اتفق جمهور الفقهاء على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد؛ لقوله تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» [البقرة: ١٨٧]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتكف إلا في المسجد.

٢. إذا كان خطاب المكلَّفين بالجمعة قد سقط بالعذر وهو كورونا، وخوطبوا ببدلها، وهو الظهر، فلَأَنْ يَسقُط الاعتكاف بسبب كورونا من باب أولى؛ لأنه سُنّة والجمعة واجبة.

٣. يجب الإبقاء على صفة العبادات وهيئتها التعبدية، وصيانتها من التبديل والتغيير، والقول بصحة الاعتكاف في البيت يضر بسنة الاعتكاف في المساجد قبل زوال الجائحة وبعدها.

٤. القياس على اعتكاف المرأة في مسجد بيتها لا يصح؛ لأن حكم الأصل محل خلاف بين العلماء، والراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن المرأة تعتكف في المسجد مثل الرجل كما ثبت عن أمهات المؤمنين، وقد وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ امْرَأَةٍ جَعَلَتْ عَلَيْهَا (أَيْ نَذَرَتْ) أَنْ تَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ بَيْتِهَا، فَقَالَ: «بِدْعَةٌ، وَأَبْغَضُ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ الْبِدَعُ».

٥. المكان المخصص في البيت للصلاة ليس بمسجدٍ حقيقةً ولا حكماً، ولا تجري عليه أحكام المساجد، وإن سُمي تجوزاً مسجداً فلا يصح الاعتكاف فيه.

صلاة العيدين مع جائحة كورونا

السؤال: هل تصحّ صلاة العيدين في البيوت مع العائلة نظرًا لمنع التجمعات بسبب كورونا؟

الجواب: لا بد من التأكيد على ضرورة وأهمية الالتزام بقرار السلطات والمنظمات الصحية في كل بلَدٍ بشأن منع أو تنظيم التجمعات وعدم الخروج عليها؛ لأن الالتزام بها دِينٌ، وحِفظُ النّفسِ من مقاصد الشريعة العليا. والذي أراه راجحاً

بخصوص صلاة العيد في البيوت مع العائلة هو رأي الحنفية؛ لأن الاجتماع شرطٌ في صلاة العيد عندهم؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ما صلاها إلا بالجماعة فصارت هيئة شرعية لها، ويدل على رجحان هذا الرأي أنه إذا اجتمعت الجمعة مع العيد صارت الجمعة رغم فرضيتها سُنّةً في حق من صلى العيد على الراجح، لحصول الاجتماع وسماع الموعظة.

ومن أخذ برأي الجمهور من غير الحنفية فصلى العيد منفرداً، أو مع عائلته جماعةً دون خطبة على الصفة المعروفة لصلاة العيد ركعتين يكبر في الأولى سبعاً، وفي الثانية خمساً فحَسَنٌ، لما رُوى «عن أنس رضي الله عنه أنه كان إذا فاتته صلاة العيد مع الإمام، جمع أهله فصلى بهم مثل صلاة الإمام في العيد» وقد ثبت عن كثير من الصحابة والسلف أنهم كانوا إذا فاتتهم صلاة العيد مع الإمام صلَّوها فرادى أو مع عائلاتهم، وصلاة العيد سنة مؤكدة والأمر فيها واسع.

وأُوصِي عموم المسلمين بإشعار أولادهم بفرحة العيد وبهجته واجتماعه، وصلة الأرحام فيه، رغم استمرار الحجر الصحي قدر الإمكان، مع رعاية شروط السلامة الصحية حسب نظام كل بلد وظروفه.

بعد إلغاء موسمي العمرة والحج، ما هي المصارف التي يمكن أن تذهب إليها أموال تلك الرحلات خلال تلك الفترة ؟

الجواب: في الإسلام نيةُ المرء خيرٌ من عمله، فكلُّ من عزم على العمرة في رمضان فمُنع بسبب كورونا حصَّل أجر العمرة وهو في بيته، عن أبي موسى رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا» رواه البخاري، وعن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا، وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ» رواه البخاري.

وقد خلّفت جائحة كورونا آلاف العاطلين عن العمل، والمتضرّرِين في أقواتهم الضرورية، كما ضاعفت من الفقراء والمعوِزين حول العالم، والموفَّقُ مَن أنفق نفقات العمرة وحجة النافلة على سد حاجات الفقراء والمعوزين، وقضاء حوائجهم وتفريج كربهم، وقضاء الدَّين عن الغارمين منهم، والحاجات العاجلة الفورية تُقدَّمُ على المؤَجّلة غير الضرورية،

ففي حديث عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلى اللهَّ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُّ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُّ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُّ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ» رواه الطبراني في الأوسط، والمنذري في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني.

والثابت عن كثير من أئمة السلف وفقهائهم تقديم الإنفاق على الفقراء والمساكين على حج النافلة وعمرة التطوع، فقد «خرج عبد الله بن المبارك رحمه الله في الحج سنةً فلقي فتاة تقول له: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قُوتٌ إلا ما يُلقَى على هذه المزبلة، وقد حلّت لنا الميتة منذ أيام، فدفع إليها نفقة الحج، وقال: هذا أفضل من حجّنا في هذا العام، ثم رجع»، وقال الإمام أحمد رحمه الله عن نفقة حج النافلة: «يضعها في أكبادٍ جائعةٍ أحبُّ إليَّ». وكلامهم في

أوقات الرخاء، فكيف بزمان الشدة والبلاء، كما هو الحال مع جائحة كورونا.

أما نفقات حجة الفريضة فيدَّخرها للعام القادم، ولا يقدّم الإنفاق منها على الفقراء؛ لأن الحج عبادة بدنية ومالية، إلا إذا زادت حاجة الناس جدًّا، وبلغت أقواتهم الضرورية، أو كانوا أقارب للمتصدّق، فيقدم الإنفاق عليهم على حجة الفريضة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والحج على الوجه المشروع أفضل من الصدقة التي ليست بواجبة، وأما إن كان له أقارب مَحَاويجُ، أو هناك فقراء تضطرهم الحاجة إلى نفقة: فالصدقة عليهم أفضل».

زكاة الفطر هل يجب دفعها في البلدان الأم أو الإسلامية.. ولا يمكن دفعها للأسر المتضررة من الكورونا في البلدان الأوروبية؟

الجواب: الأصل في إخراج زكاة المال أو الفطر أن تُدفع في بلد المزكِّي، وهو مذهب جمهور الفقهاء؛ لحديث معاذ، والذي قال له النبي: «فأَعْلِمهُم أنّ الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذُ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم»، وهو ما جرى العمل

به في عصر الخلفاء الراشدين من رد الزكاة على الفقراء في بلد المزكِّي، ومن أهم مقاصد الزكاة تحقيق الكفاية بين أبناء البلد الواحد من المسلمين، فعلى المسلمين في أوروبا أن يدفعوا زكاة الفطر أولًا لسد حاجات الفقراء والمحتاجين في أقطارهم الأوروبية، فإن سُدّت حاجات الفقراء عادوا بالأموال المتبقية على المحتاجين في بلدانهم الأصلية أو في أي بلد آخر، وقد خلّفت جائحة كورونا الكثير من المتضررين والمحتاجين في أوروبا فيجب سد حاجاتهم أولاً قبل نقلها إلى دول أخرى.

ويجوز دفع زكاة الفطر لغير المسلمين إذا كانوا فقراء أو مساكين، كما هو مذهب أبي حنيفة، وهو الأرجح والأنسب لمسلمي أوروبا، وهو الرأي الذي يُحقِّقُ قيم التعايش والمواطنة الصالحة، والتكافل الإنساني والبر بغير المسلمين، كما قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [الممتحنة: ٨].

في ظل ضعف حركة الاستيراد والتصدير، وندرة اللحوم الحلال في بعض المناطق، هل يمكن أكل اللحوم غير المذبوحة على الشريعة الاسلامية ؟

الجواب: قضية الطعام والذبح الحلال ليست مسألةً ثانويةً في حياة المسلم، ولكنها قضيةٌ دينيّةٌ شديدة الأهمية، قال تعالى: «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ» [الأنعام: ١١٨]، قال المفسرون: أي: اجعلوا أَكلَكُم مقصوراً على ما ذُكِرَ اسمُ الله عليه، ولا تتعدَّوه إلى الميتة، فالمؤمنون مأمورون بأن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبغير ذلك لا يكونون مؤمنين، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله: «من صلى صلاتَنا، واستقبل قبلتَنا، وأكل ذبيحتَنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسول الله ، فلا تخفروا الله في ذمته»، [رواه البخاري]، فعَطفَ أَكْلَ الذبيحةِ على الصلاةِ واستقبالِ القبلةِ لأهميّتِهِ، والذي أُرجِّحُه هو أن لا يأكل المسلم في الغرب إلا اللحم والطعام الذي تمت مراقبته من قِبل هيئة إسلامية معتبرة وأعطته خاتم (حلال)، وذلك لأن شرائط الأكل الحلال لا تتوفر في اللحم والطعام المطروح في الأسواق الأوروبية، كالتأكد من عدم موت الحيوان قبل الذبح نتيجة

التخدير أو الصعق، والتأكد من عدم اختلاطه بمحرَّم سواء في الذبح بنفس الأدوات، أو خط الإنتاج دون تطهير، أو إضافة مواد محرمة في عملية التصنيع التي تتم بعد الذبح، وكذا عدم التأكد من كتابية الذابح، وكالتسمية، وغير ذلك من الشروط المفقودة في طرائق الذبح وإنتاج اللحوم في أوروبا.

إن مسألة الذبح واللحم الحلال تتصل بأمر الهوية بالنسبة لمسلمي أوروبا، والتهاون فيها يضر بهوية الوجود الإسلامي في الغرب خاصة الأجيال الجديدة، ولولا تمسك المسلمين بنظام الذبح الشرعي ما وُجدت المطاعم والمجازر الإسلامية التي تقدم وتراقب اللحم والتصنيع في أوروبا، وأذكر جملةً قالها بن غوريون: «ليس اليهود هم الذين حافظوا على السبت، ولكن السبت هو الذي حافظ على اليهود» في إشارة إلى أهمية عنصر الدين في الحفاظ على اليهود وهويتهم، فالتعاليم الدينية والعادات التي يتمسك بها مسلمو أوروبا تسهم بشكل مباشر في تشكيل هويتهم وحفظها.

ومنظومة الأكل الحلال في الإسلام تهدف إلى تحقيق السلامة الصحية للآكل، والرفق والرحمة بالحيوان المذبوح وعدم تعذيبه، والارتفاق والتوازن البيئي، وتقديمُ منهجِ

الإسلام وفلسفتِهِ في الطعام والذبائح لا يتم مع القول بجواز أكل اللحوم المطروحة في الأسواق الأوروبية وإن لم تأخذ خاتم الحلال، وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرج قوما من السوق لعدم خبرتهم بشرائط الذبح ونظامه في الإسلام وهم مسلمون فكيف بغير المسلمين ؟! عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ قَوْمًا كَانُوا فِي السُّوقِ، وَكَانَ إِسْلَامُهُمْ حَدِيثًا لَا فِقْهَ لَهُمْ، لَا يُحْسِنُونَ يَذْبَحُونَ، قَالَ: «فَأَخْرَجَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنَ السُّوقِ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمْ».

ووجود بعض الأخطاء، أو صور الغش في عملية مراقبة اللحوم، أو توزيعها كونها غير محمية قانوناً في أوروبا، لا يعني صحة القول باستواء ما وُضع عليه خاتم حلال مع غيره في الإباحة، وعلى عموم المسلمين أن يبذلوا جهدهم لإيجاد مؤسسات اللحم الحلال، وأن يقوّموا أخطاءها ويصلحوا عيوبها بأسلوب حضاري وقانوني.

هل يجوز دفن المسلم بدون غسل في حالة الوفاة بالكورونا؟ وهل يجوز دفنه في مقابر غير المسلمين؟

الجواب: ندعو الله أن يرحم كل من مات بفيروس كورونا، وأن يُصبّر أهله، وأن ينزله منازل الشهداء، وأما بخصوص غسله أو تَيْمِيمِهِ، فالذي أُرجِّحه هو ما صدر عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دورته الطارئة الثلاثين، والتي خُصصت للنظر في نوازل ومستجدات فيروس كورونا.

وقد قرر المجلس بعد نقاشات مستفيضة، وسؤال الأطباء العاملين في مناطق الوباء، والاستماع إلى أحد أعضاء المجلس الذي قام عمليًّا بالتغسيل والتَّيْمِيمِ لبعض من مات بكورونا في إيطاليا، قرر المجلس ترجيح دفن الميت المصاب بداء كورونا بالكيس، وفي التابوت الذي خرج به من المشفى، دون تغسيلٍ أو تيممٍ حتى وإن سُمح به قانوناً؛ وذلك لأن التغسيل أو التيميم مع أخذ الاحتياطات الوقائية للمُغسِّل لا ينفي عنه خطر العدوى، خصوصاً وأن الأخذ بشروط الوقاية للمغسِّلِ يحتاج إلى تدريب وخبرة غير مقدور عليها الآن، وإذا كانت الطواقم الطبية يتعرض أعضاؤها إلى العدوى رغم تدريبها ومبالغتها في التحوط من الإصابة، فكيف بمغسِّلٍ لا يمتلك

هذه الخبرة ويتصل بالميت اتصالاً مباشراً.

كما أن القواعد الفقهية والنصوص الشرعية تدل على أن المحافظة على حياة الحيّ الصحيح تُقدَّم على إقامة السنة أو الواجب في حق الميت، ويكفي في الأحكام اعتبار غلبة الظن المتمثل في انتقال العدوى للمغسِّل ثم انتقالها منه لغيره، وحياة الحي من رتبة ضروري حفظ النفس، وتغسيل الميت من رتبة تكميلي حفظ الدين، والضروري يقدم على التحسيني، ونحن في وضع استثنائي يفرض الموازنة في الاختيار والترجيح الفقهي على نحو يحقق الحياة والحماية من العدوى للأحياء قدر الإمكان. فليس النقاش في إمكانية سلامة المغسِّل من العدوى إن أخذ بالتدابير الوقائية كما صدر عن منظمة الصحة العالمية، وإنما النقاش في كيفية الوصول عمليًّا بالأخذ بتلك التدابير الوقائية بحق المغسِّل.

وأما الدفن فالأصل أن يدفن المسلم حيث مات وأن يُعجَّل بدفنه، ولا أصل لنقل الميت من أوروبا إلى وطنه الأصلي، بل فيه مخالفة للسنة من وجهين: الأول: تأخير دفنه ربما لأيام، والثاني: حرمانه من أجرٍ بَشَّر به النبي صلى الله عليه وسلم من مات بغير المكان الذي ولد فيه، وذلك لمَّا ماتَ رَجُلٌ

بِالْمَدِينَةِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ، قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وابن حبان، وصححه أحمد شاكر.

والأصل كذلك أن يدفن المسلم في مقابر المسلمين؛ لأنه المعمول به من لَدُنِ رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وبفضل الله أغلب البلدان والمدن الأوروبية بها مقابر خاصة بالمسلمين، فإن تعذر ذلك مع حالة الطوارئ الحالية جاز دفن المسلم في طرفٍ من مقابر غير المسلمين، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يضر المسلم في حالة كهذه أن يدفن في مقابر غير المسلمين، فإن الذي ينفعه في آخرته هو عمله وليس موضع دفنه، قال تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» [النجم: ٣٩]، وكما قال سيدنا سلمان رضي الله عنه: (الأرض لا تقدس أحداً).

11

رسائل للمسلم الأوروبي في يوم عيد الفطر السعيد

هيئة التحرير

بالمجلس الأوروبي للأئمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام حضارة المسلمين، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد... وبعد،

في يوم الجائزة، يوم الفرح، يوم الاجتماع والحب، أتوجه إليكم بهذه الرسائل السريعة تجنباً للإطالة:

١. أظهِروا الفرح بيوم العيد وروِّحوا عن أنفسكم وأولادكم، نفرح بالتوفيق على طاعات رمضان، ونفرح بالاجتماع، ونفرح انتظاراً للفرحة الكبرى يوم القيامة. «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٨]، وقد قال النبي لأبي بكر الصديق عندما أراد منع جاريتين من الغناء في يوم العيد: «دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد». على أن تكون كل صور الترويح عن النفس في يوم العيد منضبطة بالضوابط الشرعية.

٢. عيشوا بما تعلمتم من رمضان بقية عمركم، وأهم ما تعلمناه من رمضان: خشية الله في السر والعلن، ومعرفة مقام الله بواسطة تلك العبادة السرية، فريضة الصيام: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» [الرحمن: ٤٦].

٣. صِلوا أرحامكم وتزاوروا وتبادلوا الهدايا مع جيرانكم

من غير المسلمين، فإذا كنا نبرهم في أعيادهم فلنبرهم في أعيادنا كذلك، «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [الممتحنة: ٨].

٤. أظهِروا الشعور بإخوانكم المستضعفين المحرومين من فرحة العيد، بالدعاء لهم، وبذل الجهد لتخفيف معاناتهم، وفي الحديث: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفهم وتراحمهم؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ، تَدَاعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

٥. استشعروا المسؤولية أمام الله عن أولادكم واجعلوا حفظ الأسرة وصيانتها في مقدمة أولوياتكم، ولتكن المحافظة على الصلاة شعار الأسرة. «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» [طه: ١٣٢].

٦. جسِّدوا قيم المواطنة الصالحة في قولكم وفِعلكم؛ وعياً بالتحديات التي تواجه أوطاننا الأوروبية، ووجودنا الإسلامي، والتزاماً بالقوانين والنظم، ووعياً بالحراك السياسي وتفاعلا معه، مشاركةً وعملاً وتضحيةً، لنصل بوطننا إلى الريادة الشاملة، والسلام الاجتماعي الأمثل، والحفاظ على

القيم المشتركة العادلة. «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [المائدة: ٢].

اللهم اجعل هذا العيد عيداً مباركاً على أمة الإسلام، فرِّح فيه كل حزين، وأسعد كل مكروب، واجعل السلام يملأ العالم، والقتل والعنف يختفي إلى الأبد، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائرَ الأوطان. آمين.

EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلـــــس الأوروبـــــي للأئـــمـــــة

❁ خطاب واقعي .. وتفاعل حضاري

مؤسسة أوروبية مستقلة متخصصة غير ربحية، تضم الأئمة والواعظات العاملين في الساحة الأوروبية، ويعنى بشؤونهم.

تأسس في ١٩ نوفمبر ٢٠١٩ م بمبادرة نخبة من الأئمة والعلماء والدعاة، أفرادا ومؤسسات، في دول أوروبية متعددة.

❁ رسالة المجلس

تطوير الخطاب الديني، والارتقاء برسالة الأئمة، مع العناية بمصالحهم وتنسيق جهودهم بشكل مؤسسي، وتحفيزهم على المشاركة المجتمعية وتطويرها لأجل الاستفادة من خبرتهم العلمية والتربوية في إطار الدور الحضاري لمسلمي أوروبا.

❁ رؤية المجلس

تنسيقية تعبّر عن أئمة أوروبا وتسعى لتحقيق طموحاتهم، وترشيد مواقفهم حول مختلف القضايا في خدمة مجتمعاتهم.

❁ أهداف المجلس

١. الإسهام في رفع كفاءة الأئمة وتطوير مهاراتهم، واستكمال التأهيل الوظيفي والعلمي للجدد منهم، وتعزيز دور الإمام في المجتمع .

٢. تنسيق جهود الأئمة في مجالات عملهم، والتفاعل المشترك مع المستجدات والقضايا العامة.

٣. العناية بالبحوث والدراسات العلمية والمشاريع الفكرية التي تتعلق بواقع المسلمين في أوروبا.

٤. العمل على ترشيد وعي المسلم الأوروبي المعاصر، وحماية الشباب من خطر التطرف الفكري.

٥. تعميق المعرفة بتاريخ أوروبا، واستيعاب حاضرها على المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي.

٦. التواصل مع مختلف المرجعيات الدينية ومؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات العلمية في أوروبا وخارجها.

زادُ الإمامِ الأوروبيِّ في رمضان

هذا الكتاب هو الإصدار الثاني من سلسلة إصدارات المجلس الأوروبي للأئمة، ويتضمن باقة من الموضوعات حول شهر رمضان المبارك وفلسفته ومقاصده وحِكمه وأحكامه، إضافة إلى عدد من الفتاوى الرمضانية المتصلة بالواقع الأوروبي؛ لتكون زادا للإمام الأوروبي ولعموم مسلمي أوروبا.

والله نسأل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يجعلنا في شهر رمضان من الفائزين.

EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

www.euimams.org

info@euimams.org